حديث السنة عن القرآن

فضائل وأحكام وآداب

للدكتور: محمد بن عبد الله القناص

أستاذ الحديث المشارك بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة القصيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد ورد في ثنايا كتاب الله عز وجل حديث مستفيض عن القرآن الكريم حيث تحدثت الآيات الكريمة عن علو شأنه، ورفعة قدره، وعموم بركته، وهدايته للصراط المستقيم، وأمر الله سبحانه بحسن تدبره، والاعتصام به، واتباع ما فيه، والانتفاع بهداياته، ثم جاءت السنة مبينة فضائله، موضحة مكانته ورفعته، مرغبة في تعلمه وتعليمه وتلاوته . وقد عُني أئمة الحديث بجمع الأحاديث الواردة في فضائل القرآن أو ثواب القرآن، ويورد الأئمة تحت هذا العنوان الأحاديث الواردة في تعلم القرآن وتعليمه، وتعاهده واستذكاره، والتغني به، والخشوع والبكاء عند تلاوته، وفضائل بعض السور والآيات، ونحو ذلك مما له صلة بالقرآن..... ومن الأئمة من أفرد هذا الموضوع بتأليف مستقل مثل: أبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، ومحمد بن أيوب بن الضريس (ت ٢٩٥ هـ)، وأحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـ)، وعماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) ، .... ومنهم من أدرج أحاديث فضائل القرآن ضمن مصنفاتهم في السنة، وخصصوا له كتاباً مفرداً أو

جعلوه تحت كتاب الصلاة مثـــل: ابـــن أبي شـــيبة (ت ٢٣٥هـــــــ)، والبخاري (ت ٢٥٦ هــ)، ومسلم (ت ٢٦١ هــ)، والترمذي (ت ٢٧٩ هــ)، وأبي داود (ت ٢٧٥ هــ)، والنسائي (ت ٣٠٣ هــ) ، وغيرهم . (١)

(١) هذه المصنفات ونظائرها هي المراجع المعتمدة في موضوع فضائل القرآن ، وقد راجـــت أحاديث موضوعة في فضائل القرآن في بعض كتب التفسير مثل: الكشـــف والبيـــان لأبي إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي ، وتفسير البسيط للواحدي ، والكشـــاف للزمخشـــري ، وغيرها ..... ومن الأحاديث الموضوعة في فضائل القرآن الحديث الطويل المنسوب إلى أبيّ بن كعب ﷺ عنه في فضائل سور القرآن سورةٍ سورة ، وهو حـــديث موضـــوع ، روى المؤمل بن إسماعيل قال : حدثني شيخ بحديث أبيّ بن كعب في فضائل القرآن سورةٍ سورة ، فقال : حدثني رجل بالمدائن وهو حيّ فصرت إليه ، فقلت له : من حـــدثك ؟ ، قـــال : حدثني شيخ بواسط وهو حيّ ، فصرت إليه ، فقلت له : من حدثك ؟ قال : حدثني شيخ بالبصرة ، فصرت إليه ، فقلت من حدثك ؟ ، قال : شيخ بعبادان ، فصرت إليه ، فأخـــذ بيدي فأدخلني بيتاً فيه من المتصوفة ، وبينهم شيخ ، فقال : هذا الشيخ حدثني ، فقلت : يا شيخ من حدثك ؟ فقال : لم يحدثني أحد ولكننا رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن فوضـــعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا قلوبهم إلى القرآن . (ينظر : التقيد والإيضاح شرح مقدمة ابـــن الصلاح للعراقي (ص: ١٣٤) ، فتح المغيث للسخاوي (٢٤٢/١) ، الإتقان للسيوطي (١٥٥/٢))

وقد سأل عبد الرحمن بن مهدي ميسرة بن عبد ربه ، من أين جئت بهذه الأحاديث من قرأ كذا فله كذا ؟ قال: وضعتها أرغب الناس فيها . ينظر : المجرحين من المحدثين لابن حبان (٥٤/١)

كما سُئل نوح الجامع – عصمة بن أبي مريم – من أين لك: عكرمة ، عن ابن عبـــاس في فضائل القرآن سورة سورة وليس عند أصحاب عكرمة هذا ؟ فقال : إني رأيت الناس قد=

وقد اخترت مجموعة من الأحاديث الواردة في فضائل القرآن وأحكامه وشرحتها، وكان ذلك في الدورة الصيفية المقامة في مدينة بريدة عام ١٤٢٢ هـ ، ثم أعدت النظر في الشرح ، وأضفت ما يحتاج إلى إضافة ، وسميت شرح هذه المجموعة من الأحاديث: " **حديث السنة عن**

= أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي ابن إسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة . (ينظر: تدريب الراوي (١ / ٢٨٢)، الإتقان للسيوطي (٢/ ١٥٥))

وقال الموصلي – رحمه الله تعالى -: " قد ورد: من قرأ سورة كذا فله أجر كذا ... من أول القرآن إلى آخره؛ قال ابن المبارك: أظن الزنادقة وضعتها ، وقال أيضاً: فلم يصح في هذا الباب شيء غير قوله في فاتحة الكتاب لأبي ﷺ ... فذكر عشرة أحاديث صحت في الباب في فضل بعض السور والآيات: الفاتحة، والبقرة، وآل عمران، وآية الكرسي، وخواتيم سورة البقرة، والإخلاص، والمعوذتين، وعشر آياتٍ من سورة الكهف، وقال ابن القيم وهو يتحدث عن أمور كلية وأمارات يعرف بها الحديث الموضوع: " ومنها: ذكر فضائل السور وثواب من قرأ سورة كذا فله أجر كذا من أول القرآن إلى آخره، كما ذكر ذلك الثعلبي والواحدي في أول كل سورة، والزمخشري في آخرها " ثم ذكر قول ابن المبارك المتقدم، وقال: " والذي صح في أحاديث السور .... ، فذكر ما في المغني للموصلي، ثم قال: " والذي يلي هذه الأحاديث وهو دونها في الصحة : حديث: " إذا زلزلت تعدل نصف القرآن "، وحديث: " قل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن "، وحديث: " تبارك الذي بيده الملك، هي المنجية من عذاب القبر " ثم سائر الأحاديث بعد، كقوله: " من قرأ سورة كذا ، أعطي ثواب كذا " فموضوعة على رسول الله ﷺ .... "، ينظر: المغني عن الحفظ والكتاب للموصلي ص (١٢١ – ١٤٥) ، المنار المنيف ص (١١٣ – ١١٥)، التحديث بما قيل: لا يصح فيه حديث ص (١٢٢) .

القرآن فضائل وأحكام وآداب " وقسمت هـــذا البحـــث إلى بـــابين، وجعلت تحت كل باب فصلين وتحت كل فصل عدة تراجم ، وهو على النحو الأتي :

الباب الأول : من فضائل القرآن

الفصل الأول: فضائل عامة

١- المعجزة الخالدة والآية الباقية .

٢- الخشوع والبكاء عند سماعه وتلاوته .

٣- اغتباط صاحب القرآن .

٤- الجهر بقراءته والتغني به .

٥- الأمر بتعاهده واستذكاره .

٦- فضل حملة القرآن .

٧- نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن .

٨- الترغيب بتعلمه وتعليمه .

٩- القرآن ذكر الأمة وعزها وشرفها .

١٠- الأمر بقراءة القرآن ما ائتلفت عليه القلوب .

الفصل الثاني : من فضائل بعض السور والآيات

١- فضل فاتحة الكتاب .

٢- فضل سورتي البقرة وآل عمران .

٣- فضل آية الكرسي .

٤- فضل الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة .

٥- فضل سورة الكهف .

٦- فضل سورة الإخلاص .

٧- فضل المعوذتين .

الباب الثاني : من أحكام القرآن

الفصل الأول : قراءة القرآن في الصلاة أحكام وآداب .

١- قراءة الفاتحة في الصلاة .

٢- القراءة في الصلوات المكتوبة .

٣- القراءة في ركعتي الفجر .

٤- القراءة في قيام الليل .

٥- النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرأ بهن .

٦- الأقرأ أحق بالإمامة .

٧- أمر الأئمة بالتخفيف .

٨- النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود

٩- القراءة في صلاة الجمعة والعيدين .

الفصل الثاني : أحكام عامة .

١- أخذ الأجرة على تعليم القرآن .

٢- النهي أن يُسافر بالقرآن إلى أرض العدو .

٣- لا يمس القرآن إلا طاهر .

٤- لا يجهر بعضكم على بعض في القراءة .

٥- نهي الجنب عن قراءة القرآن .

هذا وأسأل الله تبارك وتعالى أن يجعله خالصاً لوجه، نافعاً لعباده، وما كان فيه من صواب فمن الله، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي واستغفر الله، وهو جهد المقل، ورحم الله ابن العماد الأصبهاني إذ يقول : " **إني رأيت أنه لا يكتب إنسانٌ كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر، وهو دليلٌ على استيلاء النقص على جميع البشر** "

وكتبه

محمد بن عبد الله القناص

١/ ٥ / ١٤٢٢ هـ

القصيم - بريدة

Gnnas_5@hotmail.com

الباب ا.ولمن فضائل القرآن

الفصل الأول فضائل عامة

المعجزة الخالدة والآية الباقية

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِي ﷺ: " مَا مِنَ الأَنْبِياءِ نَبِيٌّ إلا أُعْطِي مِنَ الآياتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ وَكَانَ الذِي أُوتِيتهُ وَحْياً أوحاه الله إلي فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعاً يَوْمَ القِيَامَةِ "

أخرجه البخاري ح (٤٩٨١) ، مسلم ح (١٥٢)

شرح الحديث

أخبر النبي ﷺ في هذا الحديث أن كل نبي بعثه الله فإنه يُعطى من الدلائل والمعجزات ما يدل على صدق ما جاء به من الرسالة ، ويكون مِنْ شأن مَنْ يشاهدها من البشر ممن أراد الله له الهداية أن يؤمن به ويتبعه ، ولكن معجزاتهم تنقرض بانقراضهم ، فلا يبقى منها بعدهم إلا الإخبار بها ، وأما الرسول ﷺ فقد فُضِّل وخُص بالمعجزة الخالدة، والآية الباقية وهي : **القرآن العظيم والكتاب العزيز** ، وليس المراد حصر دلائل نبوته ومعجزاته فيه ، فإنه ﷺ قد أُعطي من كل نوع من أنواع معجزات الأنبياء قبله، بل المراد أنه المعجزة العظمى التي أُخْتص بها دون غيره ، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه، فأَيدَ الله موسى عليه السلام بالعصا على صورة ما يصنع السحرة ، وذلك حين كان السحر فاشياً في قومه ، وأجرى الله على يد عيسى عليه السلام إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ، وذلك لظهور الطب في زمانه فآتاهم بما لا تصل إليه قدراتهم

، ولما كان العرب الذين بُعث إليهم النبي ﷺ هم أفصح الخلق وأعلمهم بوجوه البيان جاءهم بالقرآن الذي تحداهم أن يأتوا بمثله، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (١) ثم تدرج معهم إلى عشر سور فقال سبحانه : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢) ثم تحداهم بأن يأتوا بسورة فقال سبحانه : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣)

واستمر هذا التحدي في العهد المدني، فقال سبحانه في سورة البقرة: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٤) فلم يقدروا على ذلك ، وأخبر الله عن عجزهم وضعفهم عن معارضته ، وأنهم لا يفعلون ذلك في المستقبل ، فقال سبحانه ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (٥)

---

(١) سورة الإسراء آية: ٨٨

(٢) سورة هود آية: ١٣

(٣) سورة يونس آية: ٣٨

(٤) سورة البقرة آية : ٢٣

(٥) سورة البقرة آية : ٢٤

وفي كتاب الله وجوه كثيرة من دلائل الإعجاز منها :-

١- حسن تأليفه وبديع نظمه ، وجمال أسلوبه فقد تُخِّيرت ألفاظه ونظمت في نسق عجيب يبلغ في الفصاحة أرقى درجاتها ، وأكمل مقاماتها ، وأوفى غايتها ، فأُحكمت ألفاظه ، وفُصلت معانيه قال سبحانه : ﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[(١)]

وقال سبحانه : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً ﴾ [(٢)] أي صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الأوامر والنواهي .

قال الراغب في وصف ألفاظ القرآن : " فألفاظ القرآن ، هي لب كلام العرب ، وزبدته وواسطته وكرائمه ، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم ، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم ، وما عداه وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة ، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لُبُوب الحنطة " [(٣)]

٢- أسلوبه العجيب، وصورة نظمه الغريب المخالف لأساليب كلام أهل الفصاحة والبيان من العرب نظماً ونثراً حتى حارت فيه عقولهم، ولم

---

(١) سورة هود آية :١

(٢) سورة الأنعام آية : ١١٥

(٣) المفردات في غريب القرآن (ص: ٦)

يهتدوا إلى الإتيان بشيء مثله مع توافر دواعيهم على تحصـــيل ذلـــك وتقريعه لهم على العجز عنه [١]

وفي قصة إسلام أبي ذر ﷺ أنه بعث أخاه أُنيساً إلى مكة لينظر في أمر النبي ﷺ فقدم أُنيس مكة ثم رجع إلى أبي ذر فقال له: ما صـــنعت ؟ قَالَ: لَقِيتُ رَجُلًا بِمَكَّةَ عَلَى دِينِكَ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ قُلْتُ: فَمَا يَقُـــولُ النَّاسُ ؟ قَالَ: يَقُولُونَ شَاعِرٌ كَاهِنٌ سَاحِرٌ - وَكَانَ أُنَيْسٌ أَحَدَ الشُّعَرَاءِ - قَالَ أُنَيْسٌ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ فَمَا هُوَ بِقَوْلِهِمْ، وَلَقَدْ وَضَعْتُ قَوْلَهُ عَلَى أَقْرَاءِ الشِّعْرِ، فَمَا يَلْتَئِمُ عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ بَعْدِي أَنَّهُ شِعْرٌ، وَاللَّـــهِ إِنَّـــهُ لَصَادِقٌ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ " [٢]

ولما سمع الوليد بن المغيرة شيئاً من القرآن، وطلب قومه أن يقـــول في القرآن قال: وماذا أقول؟ فوالله ما منكم رجل أَعْلَمُ بالأشعار مـــني، ولا أعلم بِرَجَزه، ولا بقَصِيدهِ مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشـــبه الـــذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول حـــلاوةً ، وإن عليـــه لَطَلاوةً ، وإنه لمثمرٌ أعلاه ، مغدقٌ أسفله ، وإنه لَيَعْلُو ولا يُعْلَى ، وإنـــه ليحطمُ ما تحته ..... " [٣]

(١) ينظر: فتح الباري (٧/٩)

(٢) أخرجه مسلم ح (٢٤٧٣)

(٣) أخرجه الحاكم (٢ / ٥٠٦) ومن طريقه البيهقي في الدلائل (١٩٨/٢) من طريـــق إسحاق بن رهوايه: حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس، =

٣- إخباره عن القرون الماضية، والأمم الغابرة، والشرائع السالفة، مما كان لا يُعْرف إلا القليل منه عند علماء أهل الكتاب، وهذه القصص والأخبار سيقت بأساليب بيانية وبلاغية بلغت أكمل درجات الفصاحة حتى كأن التالي والسامع مشاهدٌ لأحداثها، حاضرٌ وقائعها يتملاها بعينه، وقد أُبرز في مشاهدها وأحداثها مواضع العبرة والعظة .

ومن ذلك أن هذه القصص فيها الدلائل الظاهرة على إثبات الوحي والرسالة، قال الله سبحانه في أول سورة يوسف: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [١] ، وقال سبحانه في سورة القصص بعد ذكر قصة موسى ﷺ: ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۝ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُوناً فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [٢]

= وساقه ابن كثير في البداية والنهاية (١٥٢/٤) من طريق إسحاق ، وقال الحاكم : صحيح على شرط البخاري و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي .

(١) سورة يوسف الآيات من ٢- ٣

(٢) سورة القصص الآيات من ٤٤- ٤٦

وقال سبحانه في سورة آل عمران في أثناء قصة مريم: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (١)

وقال سبحانه في سورة هود بعد قصة نوح ﷺ: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ (٢)

٤- إخباره عن مغيبات، وحوادث مستقبلية فوجدت على الوجه الذي أخبر به القرآن ، كقوله تعالى : ﴿ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ (٣) ، وقوله: ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ ۞ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ ﴾ (٤) ، وقوله: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (٥)

وقوله :﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي

---

(١) سورة آل عمران آية : ٤٤

(٢) سورة هود آية : ٤٩

(٣) سورة الفتح آية : ٢٧

(٤) سورة الروم الآيات من : ٢- ٤

(٥) سورة التوبة آية : ٣٣

ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١)

وقوله : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۞ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً ۞ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً ﴾ (٢)

فحصل جميع ما أخبر به فدخل المسلمون المسجد الحرام، وغلبت الروم فارس في بضع سنين، ودخل الناس في دين الله أفواجاً فلم يبق في بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الإسلام، واستخلف الله المؤمنين في الأرض، ومكن لهم دينهم، وملكهم إياها من أقصى المشارق إلى أقصى المغارب كما جاء في حديث ثوبان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا. وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ" (٣)

٥- تأثيره العظيم على النفوس وروعته التي تعتري القلوب، وقد شرح الله باستماعه قلوباً غافلة، ونفوساً معرضة، فقادها إلى الإيمان يقول جُبير بن مُطعم ﷺ : " سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۞ أَمْ

(١) سورة النور آية : ٥٥

(٢) سورة العصر

(٣) أخرجه مسلم ح (٢٨٨٩)

خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ ﴾ كاد قلبي يطير "[1] وفي رواية : وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي "[2] ، وجاء في قصة إسلام عمر بن الخطاب ﵁: " فلما سمعت القرآن رَقَّ له قلبي، وبكيت، ودخلني الإسلام..... "[3]

وفي حديث أم سلمة في قصة هجرتهم إلى الحبشة واجتماعهم بالنجاشي أنه قال لجعفر بن أبي طالب: " هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ؟ ، قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ ، فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ ﴿ كهيعص ﴾، قَالَتْ: فَبَكَى - وَاللَّهِ - النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَاللَّهِ وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ ... "[4]

---

(١) أخرجه البخاري ح (٤٨٥٣) ، والآيات بسورة الطور من ٣٥- ٣٦

(٢) أخرجه البخاري ح (٤٠٢٣)

(٣) أخرجه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام (١ / ٣٧٢) ، والبداية والنهاية (٢٠٠/٤) قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نجيح المكي عن أصحاب عطاء ومجاهد .... ثم ذكره ضمن سياق قصة إسلام عمر .....

(٤) أخرجه أحمد ح (٢٢٥٥١) في أثناء حديث طويل من طريق ابن إسحاق قال : حدثني محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أم سلمة ، وهذا إسناد حسن ، وينظر السيرة النبوية لابن هشام (٣٦٠/١)

وذكر الله موقف الجن حين سمعوا القرآن، فقال سبحانه: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ۞ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ۞ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾ (١)

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً ۞ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً ﴾(٢)

ووجوه الإعجاز في كتاب الله كثيرة متعددة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " وكون القرآن أنه معجزة، ليس هو من جهة فصاحته وبلاغته فقط، أو نظمه وأسلوبه فقط، ولا من جهة إخباره بالغيب فقط .... ، بل هو آية بينة معجزة من وجوه متعددة، من جهة اللفظ، ومن جهة النظم، ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى، ومن جهة معانيه التي أمر بها، ومعانيه التي أخبر بها عن الله تعالى، وأسمائه وصفاته وملائكته وغير ذلك، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الغيب الماضي والغيب المستقبل، ومن جهة ما أخبر به عن المعاد، ومن جهة ما بَيَّن فيه من الدلائل اليقينية،

---

(١) سورة الأحقاف الآيات من ٢٩– ٣٢

(٢) سورة الجن الآيات من ١– ٢

والأقيسة العقلية، التي هي الأمثال المضروبة كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴾ ..... وكل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن هو حجة على إعجازه، ولا يناقض ذلك بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له " (١)

وقال في موضع آخر: " نفس نظم القرآن وأسلوبه عجيب بديع، ليس من جنس أساليب الكلام المعروفة .... ونفس فصاحة القرآن وبلاغته عجيب خارق للعادة ليس له نظير في كلام جميع الخلق، وبسط هذا وتفصيله طويل، يعرفه من له نظر وتدبر، ونفس ما أخبر به القرآن في باب توحيد الله وأسمائه وصفاته أمر عجيب خارق للعادة، لم يوجد مثل ذلك في كلام بشر لا نبي ولا غير نبي، وكذلك ما أخبر عن الملائكة والعرش والكرسي والجن، وخلق آدم وغير ذلك، ونفس ما أمر به القرآن من الدين والشرائع كذلك ... " (٢)

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: " فالقرآن العظيم معجزة من وجوه كثيرة، من فصاحته وبلاغته ونظمه وتراكيبه وأساليبه، وما تضمنه من الإخبار بالغيوب الماضية والمستقبلية، وما اشتمل عليه من الأحكام المحكمة الجلية ... " (٣)

(١) الجواب الصحيح لابن تيمية (ص:٧٤- ٧٥)

(٢) الموضع السابق ص ٧٨

(٣) البداية والنهاية (٥٤٧/٨)

وقوله ﷺ في الحديث: " **فَأرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَـرَهُمْ تَابِعاً يَـوْمَ الْقِيَامَةِ**" رتب النبي ﷺ ما رجاه من كثرة اتباعه يوم القيامة على وجـود هذه المعجزة الخالدة وهو كتاب الله، وهذا من دلائل نبوته، فللقرآن تأثير عظيم في دخول الناس في دين الله أفواجاً منذ فجر الرسالة إلى أن يـرث الله الأرض وما عليها .

يقول أحد الدعاة من الذين لهم جهـود دعويـة خـارج الـبلاد الإسلامية: " وجدنا بالتجربة، ووجد بعض إخواننا بالدراسة العلميـة أن أكثر ما يُدخِل الناس في دين الله هو قراءهم لترجمة هذا الكتاب العزيـز، ولو رحت أحدثكم عما سمعت أنا وحدي عن مشاعر الرضى والطمأنينة واليقين لبعض من هداهم الله تعالى بالإطلاع على ترجمـة تتريـل رب العالمين لطال الحديث . لكنني سأكتفي ببعض ذلك عسى أن تكون فيه لنا ذكرى وزيادة إيمان ويقين، فهذا شاب هو الآن في صحبتنا يحدثنا أنه قرأ كتاباً لمؤلف غير مسلم عن الأديان في العالم، وكان مما كتبه عن الإسلام ترجمة لسورة الفاتحة . يقول الشاب: إنني كثيراً ما كنت أتأثر تأثراً فكرياً ببعض ما أقرأ لكنني حين قرأت ترجمة هذه السورة شـعرت بالتـأثير في قلبي، ذهب الشاب يبحث عن المسلمين فأسلم ثم انتقل مـن بلـده إلى واشنطن ليلتحق بمعهد العلوم العربية والإسلامية ليدرس اللغـة العربيـة وليتعلم دينه، ومن قبله فتاة قالت: إنها لأبوين لا اهتمام لهما بالدين لكنها عثرت في بيتها على كتاب ديني قديم أثار اهتمامها فبدأت تبحث عـن

الأديان، فكان مما قرأته شيئاً عن الإسلام . قالت – وهي تسكن في مدينة نائية أشبه بالقرية – إنها صحبت بعض زميلاتها في الذهاب إلى سوق خارج القرية لم تصحبهن إلا لتبحث عن ترجمة للقرآن الكريم، عثرت على طلبتها ثم بدأت تقرأ . تقول الفتاة إنها لم تتجاوز الآية الثانية من سورة البقرة ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ ﴾ حتى وضعت المصحف المترجم وشهدت بأنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . ثم ذهبت تسأل عن المسلمين ثم جاءت لواشنطن لإكمال دراستها بجامعة جورج واشنطن وهي محجبة حجاباً كاملاً، ومن قبلها شاب لأبوين كاثوليكيين كان يدرس الثانوية بمدرسة كاثوليكية، وكان مع ذلك يشهد دروساً دينية خاصة، لكن عقله لم يقبل أبداً القول بأن لله ولد، لذلك قرر أن يبحث عن دين آخر، فكَّر في اليهودية لكنه لم يقتنع بها، ثم دخل الجامعة وكان مما درسه مقرر في التاريخ شمل الشرق الأوسط وكان من ضمن ما ذكر لهم المحاضر من المراجع القرآن الكريم . يقول إنه لم يكن قبل ذلك يظن هنالك ديناً يزعم أنه سماوي إلا اليهودية والنصرانية ! ولم يكن يعرف شيئاً عن الإسلام ألبتة، لكنه حينما بدأ يقرأ في الترجمة اهتدى. "[1]

وهذا يُذكِّر علماء الإسلام ودعاته بالعناية بتبليغ كتاب الله، وإيضاح معانيه وشرح ما تضمنه من التبشير والإنذار، قال سبحانه وتعالى: ﴿

(١) الإسلام لعصرنا (ص١٣١- ١٣٢) مقالات للأستاذ الدكتور : جعفر إدريس .

وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ ﴾ [2]

قال الحافظ ابن رجب: " وقد كان النبيُّ ﷺ يدعو الخلق بالقرآن إلى الدخول في الإسلام الذي هو الصراط المستقيم، وبذلك استجاب له خواصُّ المؤمنين كأكابر المهاجرين والأنصار، ولهذا المعنى قال مالك: فُتحت المدينة بالقرآن . يعني: أن أهلها إنما دخلوا في الإسلام بسماع القرآن، كما بعث النبيُّ ﷺ مُصعب بن عمير قبل أن يُهاجر إلى المدينة، فدعا أهل المدينة إلى الإسلام بتلاوة القرآن عليهم، فأسلم كثيرُ منهم "[3]

إن كتاب الله سبحانه وتعالى هو ينابيع العلم، وكنوز المعرفة، ودواء القلوب، وكلما أحسن الإنسان تدبره وتأمله ظهر له دقائق من المعارف والعلوم والحكم .

يقول الشافعي رحمه الله: " والناس في العلم طبقات: موقفهم من العلم بقدر درجاقم في العلم به - أي القرآن - فحق على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من علمه، والصبر على كل عارضٍ دون طلبه، وإخلاص النية لله في استدراك علمه: نصاً واستنباطاً، والرغبة إلي الله في العون عليه، فإنه لا يدرك خيرٌ إلا بعونه، فإن من أدرك علم

(١) سورة الأنعام: الآية: ١٩

(٢) سورة الأنبياء: الآية: ٤٥

(٣) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب (١ / ٢٠٦)

أحكامه في كتابه نصاً واستدلالاً، ووفقه الله للقول والعمل بما عَلَم منه: فاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفت عنه الريب، ونوَّرت في قلبه الحكمة، واستوجب في الدين موضع الإمامة، فنسأل الله .... أن يرزقنا فهماً في كتابه، ثم سنة نبيه، فليست تنزل بأحدٍ من أهل دين الله نازلةٌ إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها " (١)

ويقول شيخ الإسلام: " قد فتح الله علي في السجن في هذه المرة من معاني القرآن بأشياء كان أكثر العلماء يتمنونها، وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن، ولو بذل لي ملء هذه القلعة ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة " (٢)

وقال ابن القيم: " فليس شيء أنفع للعبد في معاشه، ومعاده، وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن، وإطالة التأمل فيه وجمع الفكر على معاني آياته؛ فإنها تُطلع العبد على معالم الخير والشر .... ، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه، وتشيد بنيانه، وتوطد أركانه، وتريه صورة الدنيا والآخرة، والجنة والنار في قلبه، وتحضره بين الأمم، وتريه أيام الله فيهم، وتبصره مواقع العبر، ...... وتعطيه قوة في قلبه وحياةً وسعةً وانشراحاً وبهجةً وسروراً، فيصير في شأن والناس في شأن آخر .... فلا تزال معانيه تنهض بالعبد إلى ربه .... وتثبت قلبه عن الزيغ والميل عن الحق ... وتناديه كلما فترت

---

(١) الرسالة للإمام الشافعي (ص:١٩)

(٢) دقائق التفسير (١/٥)

عزماته وونى في سيره: تقدَّم الركب وفاتكَ الدليل ... وفي تأمل القـــرآن وتدبره أضعاف ما ذكرنا من الحِكَم والفوائد . " (١)

۞۞۞۞۞۞۞

(١) مدارج السالكين (١/٤٥١ - ٤٥٣)

الخشوع والبكاء عند سماعه وتلاوته

عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مَسعود ﷺ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: " اقْرَأْ عَلَـــيَّ القرْآنَ " ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولُ الله، أَقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْـــزِلَ ؟، قَالَ: " إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي "، قَالَ: فَقَرَأْتُ النِّسَاءَ حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ قَوله: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِــكَ عَلَــى هَؤُلاءِ شَهِيداً ﴾ رَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ دُمُوعَهُ تَسِيلُ .

أخرجه البخاري ح (٥٠٥٠) ، ومسلم ح (٨٠٠) والآية بسورة النساء آية : ٤١

شرح الحديث

- دل الحديث على استحباب أن يسمع الإنسان القرآن من غيره، فقـــد طلب النبي ﷺ من ابن مسعود ﷺ أن يقرأ عليه القرآن، وقال: " **إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي** "

قال ابن بطال: " معنى استماعه القرآن من غيره - والله أعلم - ليكون عرض القرآن سنة، ويحتمل أن يكون كي يتدبره ويتفهمه، وذلـــك أن المستمع أقوى على التدبر، ونفسه أخلى وأنشط لـــذلك مـــن نفـــس القاريء، لأنه في شغل بالقراءة، وأحكامها " [١]

- ودل على عظيم تأثره ﷺ حيث بكى عند سماع القرآن، ووصف ابن مسعود ﷺ دموعه ﷺ بأنها تسيل، وهو ﷺ أخشى العباد وأتقاهم لله.

---

(١) فتح الباري لابن بطال (٢٧٨/١٠)

قال ابن بطال: " وإنما بكى ﷺ عند هذا لأنه مثل لنفسه أهوال يوم القيامة، وشدة الحال الداعية له إلى شهادته لأمته بتصديقه والإيمان به، وسؤاله الشفاعة لهم ليريحهم من طول الموقف، وأهواله، وهذا أمر يحق له طول البكاء والحزن " [١]

وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على المتدبرين لكتابه، الخاشعين الباكين عند سماعه وتلاوته، والنبي ﷺ هو أحق من اتصف بهذا فقد كان خلقه القرآن ..... [٢]

قال سبحانه: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ۞ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [٣]

فوصف الله المؤمنين من أهل الكتاب أنهم عند سماعهم لما أُنزل إلى رسول الله ﷺ تفيض أعينهم بغزارة وكثرة من أجل ما عرفوا من الحق الذي جاء به النبي ﷺ ، فرقت له قلوبهم، وخشعت له نفوسهم، ثم حكى الله

(١) فتح الباري لابن بطال (٢٨١/١٠)

(٢) أخرج مسلم ح (٧٤٦) من حديث عائشة رضي الله عنها ... أن سعد بن هشام قال : يا أمّ المُؤمنين أَنْبِئِينِي عَنْ خُلق رسُول اللَّه ﷺ قالت: ألست تقرأ القرآن ؟ قُلت: بلى، قالت: " فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ " ، قال الحافظ ابن كثير : معنى هذا أنه ﷺ صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجية له ، .... فمهما أمره القرآن فعله ، ومهما نهاه تركه ."

(٣) سورة المائدة الآيات من :٨٢- ٨٥

سبحانه وتعالى ما قالوا بعد سماعهم للحق فقال: ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ ، فتوجهوا إلى الله بالدعاء أن يجعلهم مع أمة محمد ﷺ التي آمنت به، وشهدت بصدقه، وأن ما جاء به حق من عند الله سبحانه، ثم بين الله سبحانه قوة إيمانهم وصدق عزيمتهم في اتباع الحق فقال سبحانه: ﴿ وَمَا لَنَا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴾

ثم بين الله سبحانه جزاءهم فقال: ﴿ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ، لقد كان لسماعهم للقرآن تأثير عظيم على نفوسهم قادهم إلى الإيمان واتباع الحق، وصدق العزيمة في الثبات عليه، والطمع فيما أعده الله تبارك وتعالى لعباده المؤمنين .

– وقال الله سبحانه في موضع آخر في وصف الذين أوتوا العلم من قبله حين سماعهم للقرآن: ﴿ وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّداً وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً ﴾ (١)

لقد أثنى الله سبحانه على علماء أهل الكتاب الذين آتاهم الله العلم قبل نزول هذا القرآن لأنهم عندما يُتلى عليهم يسقطون على وجوههم

---

(١) سورة الإسراء آية : ١٠٦

ساجدين لله سبحانه خضوعاً لله، وإيماناً بما جاء به من الحق، وتأثراً بآيات الله تبارك وتعالى حيث تبكي عيونهم، وتخشع قلوبهم، وتلين جلودهم .

وقال الله سبحانه في وصف الذين يخشون ربهم عند سماعهم لآيـــات الله: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُــودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (1)

فالله سبحانه نزل – بفضله ورحمته – هذا الكتاب الـــذي وصـــفه سبحانه بأنه أحسن الحديث كتاباً متشابها أي: بعضه يشـــبه بعضـــاً في فصاحته وبلاغته ونظمه، وإعجازه، وهو مثاني: تثني وتكرر فيه القصص والمواعظ والأمثال والأحكام والوعد والوعيد، كما تثني وتكرر قرأته فلا يمل على كثرة التكرار، ويؤثر في قلوب الذين يخشون ربهم، فتقشعر منـــه جلودهم من الخشية والخوف ﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ لما يرجون ويؤملون من رحمته ولطفه .

قال قتادة : " هذا نعت أولياء الله، نعتهم الله عز وجل بأن تقشـــعر جلودهم، وتبكى أعينهم، وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله، لم ينعتهم بذهاب عقولهم، والغشيان عليهم، إنما هذا في أهل البدع وهذا من الشيطان " (2)

واستبطأ الله قلوب المؤمنين فعاتبهم بقوله: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّــذِينَ أُوتُــوا

(1) سورة الزمر آية : ٢٣

(2) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٧٢/٢)

الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (١)

قال ابن مسعود ﷺ: " مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلَامِنَا وَبَيْنَ أَنْ عَاتَبَنَا اللَّهُ بِهَذِه الآية: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ إِلَّا أَرْبَعُ سِنِينَ " (٢)

وقال سبحانه منكراً على المشركين استماعهم القرآن وإعراضهم عنه، وعدم خشوعهم وبكائهم كما هو شأن المؤمنين الموقنين: ﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝ وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ ۝ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴾ (٣)

ولما ذكر الله سبحانه في سورة مريم أخبار بعض أنبيائه ورسله، جاء في ختام الحديث عنهم قوله سبحانه: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرائيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً﴾(٤)

فبين سبحانه أن من صفات هؤلاء الأنبياء الذين اصطفاهم الله واختارهم لحمل رسالته، أنهم إذا تليت عليهم آياته المتضمنة لتعظيمه وتمجيده ودلائل توحيده، خروا سجداً وبكياً .

---

(١) سورة الحديد آية : ١٦

(٢) أخرجه مسلم ح (٣٠٢٧)

(٣) سورة النجم الآيات من: ٥٩-٦١

(٤) سورة مريم آية: ٥٨

قال الحافظ ابن كثير: " قوله تعالى: ﴿ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً ﴾ أي إذا سمعوا آيات الله المتضمنة حججه ودلائله وبراهينه سجدوا لربهم خضوعاً واستكانةً وشكراً على ما هم فيه من النعم ... فلهذا أجمع العلماء على شرعية السجود هاهنا اقتداءً بهم، واتباعاً لمنوالهم .... " [(1)] .

إن البكاء عند سماع القرآن من هدي النبي ﷺ، وهدي أصحابه ﷺ، ومن تبعهم من سلف هذه الأمة الأبرار .

- ففي حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال في مرضه الذي تُوفي فيه: " مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ " قَالَتْ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ وَإِنَّهُ مَتَى يَقُمْ مَقَامَكَ لَا يُسْمِعْ النَّاسَ ....، وفي رواية قالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ لَا يَمْلِكُ دَمْعَهُ"[(2)]

- وفي حديث عائشة حين ذكرت خروج أبي بكر إلى أرض الحبشة، ثم رجوعه، ودخوله في جوار ابن الدَّغنة، قالت: ثُمَّ بَدَا لِأَبِي بَكْرٍ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَيَتَقَذَّفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ

(١) تفسير ابن كثير (٤/٤٦٧)

(٢) أخرجه مسلم ح (٤١٨)

الْمُشْرِكِينَ، وَأَبْنَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً لَا يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ .... [(١)]

- ولما قدم أهل اليمن في زمان أبي بكر فسمعوا القرآن جعلوا يبكون فقال أبو بكر: " هكذا كنا ثم قست القلوب " [(٢)]
- وعن عبد الله بن شداد أنه قال: " سمعت نشيج عمر، وأنا في أخر الصف، وهو يقرأ سورة يوسف: ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾[(٣)] " [(٤)]
- وعن سالم بن عبد الله أن ابن عمر – رضي الله عنهما – قرأ: ﴿ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَو تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ الآية [(٥)] فدمعت عيناه [(٦)]
- وعن عبد الله بن عبيدة قال: " رأت صفية زوج النبي ﷺ قوماً قرأوا سجدة، فسجدوا، فنادهم: هذا السجود والدعاء فأين البكاء ؟ " [(٧)]

(١) أخرجه البخاري ح (٣٩٠٥)

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/١٤)

(٣) سورة يوسف آية : ٨٦

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/١٤)

(٥) سورة البقرة آية : ٢٨٤

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/١٤)

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة (٨/١٤)

– وعن الأعمش قال: " كان أبو صالح يؤمنا فكان لا يجيز القراءة من الرقة ... " [1]

– وعن عبد الله بن رباح عن صفوان بن محرز أنه كان إذا قرأ هذه الآية بكى حتى أرى قصص زوره سيندق ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [2] " [3]

– وعن إبراهيم التيمي قال: " لقد أدركت ستين من أصحاب عبد الله في مسجدنا هذا أصغرهم الحارث بن سويد، وسمعته يقرأ: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا...... ﴾ حتى بلغ ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ﴾ قال: فبكى ثم قال: إن هذا الإحصاء شديد ." [4]

– وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: " ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلطون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكياً محزوناً حليماً حكيماً...." [5]

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٩/١٤)

(٢) سورة الشعراء آية :٢٢٧

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/١٤)

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (١١/١٤)

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٤/١٤)

- وعن أبي موسى الأشعري ﷺ أنه بَعَثَ إِلَى قُرَّاءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثَلَاثُ مِائَةِ رَجُلٍ قَدْ قَرَءُوا الْقُرْآنَ، فَقَالَ: أَنْتُمْ خِيَارُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَقُرَّاؤُهُمْ فَاتْلُوهُ، وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ الْأَمَدُ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ كَمَا قَسَتْ قُلُوبُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ..... " (١)
- وعن مسعر قال: سمعت عبد الأعلى التيمي يقول: " من أوتي من العلم ما لا يبكيه خليق أن لا يكون أوتي علماً ينفعه، لأن الله نعت العلماء، ثم قرأ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ...إلى قوله يَبْكُونَ﴾ (٢) " (٣)
- وعن أبي رجاء قال: " كان هذا المكان من ابن عباس - مجرى الدموع - مثل الشراك البالي من الدموع ". (٤)

وهذه النصوص تُذَكِّر المؤمن أحوال الذين هداهم الله واجتباهم وأنعم عليهم، فكانوا عند تلاوة آياته خاشعين باكين منيبين، امتلأت قلوبهم خشيةً وتعظيماً لربهم، انصتوا عند استماعه بقلوب حاضرة، وأسماع شاهدة، وأحسنوا تدبره، واستحضروا معانيه، وتفكروا في آيات الله في الأفاق والأنفس، وقدروا فضل الله عليهم ومنته بتمكينهم من تلاوة كتابه، ووحيه المبارك، وقد قال سبحانه مخاطباً نبيه:﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا

(١) أخرجه مسلم ح (١٠٥٠)
(٢) سورة الإسراء آية : ١٠٧
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٥٤٣/١٣)
(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٥/١٤)

إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[(١)] وقال تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾ [(٢)] ، وقال: ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾ [(٣)]

وكان خشوعهم وبكاؤهم بحسن أدب، وصدق إنابة، وبعد عن التكلف، والتصنع بخلاف حال أهل البدع والضلال الذين يتصايحون عند سماع القرآن، ويتكلفون ما ليس فيهم، ويتصنعون الصعق والغشيان .

- عن عبد الله بن عروة بن الزبير، قال: " قلت لجدتي أسماء كيف كان يصنع أصحاب رسول الله ﷺ إذا قرأوا القرآن ؟ قالت: كانوا كما نعتهم الله عز وجل: تدمع أعينهم، وتقشعر جلودهم، قلت: فإن ناساً ههنا إذا سمعوا ذلك تأخذهم غَشْية ؟، فقالت: أعوذ بالله من الشيطان". [(٤)]

- وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ .. ﴾ قال: " هذا نعت أولياء الله تعالى، نعتهم الله فقال: تقشعر جلودهم وتبكي أعينهم، وتطمئن قلوبهم

---

(١) سورة الشورى آية: ٥٢

(٢) سورة القصص آية: ٨٦

(٣) سورة النساء آية: ١١٣

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢/٣٣١)

إلى ذكر الله تعالى، و لم ينعتهم الله تعالى بذهاب عقولهم، والغشيان عليهم، إنما هذا في أهل البدع، وإنما هو من الشيطان ...." [١]

❁❁❁❁❁❁

(١) سبق ص: ٣١

اغتباط صاحب القرآن

عَنْ ابْنِ عُمَرَ – رَضي الله عَنْهُمَا – عَنْ النَّبي ﷺ قَالَ: " لا حَسَــدَ إلا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتاهُ الله القُرآن، فَهُو يَقُوم بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتاهُ الله مَالاً، فَهُــو يُنفِقُــهُ آنــاءَ اللَّيْــلِ وآنَــاءَ النَّهَــارِ "

أخرجه البخاري ح (٥٠٢٥) ، ومسلم ح (٨١٥)

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: " لا حَسَدَ إلا فِي اثْنَتَــيْنِ: رَجُلٌ آتاهُ الله مَالاً، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحــقِّ، وَرَجُــلٌ آتــاهُ الله حِكْمَةً، فَهُو يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا "

أخرجه البخاري ح (٧٣) ، ومسلم ح (٨١٦)

شرح الحديثين

دل الحديثان على أن صاحب القرآن في غبطة ومترلة رفيعة، ودرجة عالية، فينبغي أن يتذكر هذه النعمة الكبرى، والمنة العظمى، وقد نبَّه الإمام البخاري إلى هذا حيث بوب بقوله: " باب اغتباط صاحب القرآن " [(١)]، وبوب في كتاب العلم بقوله: " باب الاغتباط في العلم والحكمة"[(٢)]

وإذا كان صاحب القرآن في هذا المقام الرفيع، والمترلة العالية، فإنه لا غبطة أعظم ولا أفضل من غبطته، وعبر في الحديث بالحسد .

(١) فتح الباري (٧٣/٩)

(٢) فتح الباري (١٦٥/١)

وأصل الحسد: تمنى زوال النعمة عن المنعم عليه. وهذا مذموم قال سبحانه: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [(١)] ويطلق بمعنى الغبطة كما في هذا الحديث وهو: أن تتمنى أن يكون لك من النعمة والخير مثل ما لغيرك من غير أن تزول عنه [(٢)]

والحرص على هذا يسمى منافسة ومنه قوله سبحانه: ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾[(٣)] ويسمى مسابقة قال سبحانه: ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ [(٤)]

وذلك أن حقيقة السبق أن يتقدم على غيره في المطلوب. [(٥)]

والخصلة الثانية التي ينبغي أن يغبط عليها المتصف بها هي الإنفاق في وجوه الخير: " **وَرَجُلٍ آتاهُ الله مَالاً، فَهُو يُنفِقُهُ آناءَ اللَّيْلِ وآنَاءَ النَّهَارِ** " وفي الحديث الآخر: " **رَجُلٍ آتاهُ الله مَالاً، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحقِّ** "

قال الحافظ ابن حجر: " وَعُبِّر بالتسليط لدلالته على قهر النفس المجبولة على الشح، وَعُبِّر بهلكته ليدل على أنه لا يبتغي معه شيئاً، وكَمَّلَه بقوله: " **في الحقِّ** " أي في الطاعات ليزيل عنه إيهام الإسراف المذموم، وقوله في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: " **رَجُلٍ آتاهُ الله القُرآن، فَهُو**

(١) سورة النساء آية: ٥٤

(٢) ينظر: المفهم (٢/٤٤٥)

(٣) سورة المطففين آية: ٢٦

(٤) سورة المائدة آية: ٤٨

(٥) ينظر: فتح الباري (٩/١٦٧)

يَقُوم بِهِ... " والقيام أعم من التلاوة فيدخل في ذلك تلاوته وتعلمه، والعمل به، والحكم والفتوى بمقتضاه، ولذلك جاء في حديث ابن مسعود ﷺ: **وَرَجُلٍ آتاهُ الله حِكْمَةً، فَهُو يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا** " فلا تخالف بين لفظي الحديثين والله أعلم .[1]

وعُبَّر بلفظ التلاوة في حديث أبي هريرة ﷺ حيث جاء فيه: " لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ " [2] فيمكن أن يؤخذ منه أن التلاوة المقرونة بالعمل يتحقق بها هذا الفضل والمترلة الرفيعة .

قال الحافظ ابن كثير: " فذكر النعمة القاصرة وهي تلاوة القرآن آناء الليل والنهار، والنعمة المتعدية، وهي إنفاق المال بالليل والنهار كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ﴾ [3] " [4]

وأخرج الإمام أحمد من حديث يزيد بن الأخنس السلمي ﷺ : " رَجُلٌ أَعْطَاهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ — الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَيَتَّبِعُ مَا فِيهِ .... " [5]

---

(١) فتح الباري (١/١٦٧)

(٢) أخرجه البخاري ح (٥٠٢٦)

(٣) سورة فاطر آية : ٢٩

(٤) تفسير ابن كثير (٧/٤٨٦)

(٥) أخرجه أحمد ح (١٧٠٠٧)

لقد تضمن هذان الحديثان الحث على تحصيل الخصلتين الكريمتين وهما: تلاوة كتاب الله آناء الليل والنهار والعمل به، والإنفاق آناء الليل والنهار في وجوه الخير، ومن فضل الله تبارك وتعالى أن من غبط صاحبهما وتمنى أن يكون مثلهما وهو صادق النية، مخلص في أمنيته فإن فضل الله يشمله ورحمته تعمه .

أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: " لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ فَقَالَ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلَانٌ فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِي الْحَقِّ. فَقَالَ رَجُلٌ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلَانٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ ". [١]

وأخرج الإمام أحمد من حديث أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ ﵁ أن النبي ﷺ قال: " إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ – عَزَّ وَجَلَّ – مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ حَقَّهُ. قَالَ: فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ – عَزَّ وَجَلَّ – عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا، قَالَ: فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مَالٌ عَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ، قَالَ: فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ . قَالَ: وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ – عَزَّ وَجَلَّ – ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقَّهُ، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ. قَالَ: وَعَبْدٌ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا،

---

(١) أخرجه البخاري ح (٥٠٢٦)

فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مَالٌ لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ، قَالَ: هِيَ نِيَّتُهُ فَوِزْرُهُمَا فِيهِ سَوَاءٌ "(١)

وأخرج الإمام أحمد أيضاً من حديث يزيد بن الأخنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " لا تَنَافُسَ بَيْنَكُمْ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ أَعْطَاهُ اللَّهُ – عَزَّ وَجَلَّ – الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَيَتَّبِعُ مَا فِيهِ، فَيَقُولُ رَجُلٌ: لَوْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَانِي مِثْلَ مَا أَعْطَى فُلَانًا، فَأَقُومَ بِهِ كَمَا يَقُومُ بِهِ، وَرَجُلٌ أَعْطَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُ وَيَتَصَدَّقُ، فَيَقُولُ رَجُلٌ: لَوْ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَانِي مِثْلَ مَا أَعْطَى فُلَانًا، فَأَتَصَدَّقَ بِهِ " (٢)

❁❁❁❁❁❁

(١) أخرجه أحمد ح (١٨٠٦٠) والترمذي ح (٢٣٢٥) ، وقال : حسن صحيح .

(٢) أخرجه أحمد ح (١٧٠٠٧)

الجهر بقراءته والتغني به

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: " مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ، مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنَ الصَّوْتِ يَتَغَنّى بِالقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ . "

أخرجه البخاري (٥٠٢٤) ، ومسلم ح (٧٩٢)

شرح الحديث

أفاد الحديث استحباب التغني بالقرآن، وهو تحسين الصوت به، والترجيع بقراءته .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: " ومعناه أن الله تعالى ما استمع لشيء كاستماعه لقراءة نبي يجهر بقراءته ويحسنها، وذلك أنه يجتمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت لكمال خلقهم، وتمام الخشية، وهو الغاية في ذلك، وهو سبحانه وتعالى يسمع أصوات العباد كلهم برهم وفاجرهم كما قالت عائشة – رضي الله عنها –: " الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ"[(١)] ، ولكن استماعه لقراءة عباده المؤمنين أعظم كما قال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ... ﴾ [(٢)] الآية. ثم استماعه لقراءة أنبيائه أبلغ كما دل عليه هذا الحديث العظيم، ومنهم من فسر الأذن هنا بالأمر

---

(١) أخرجه أحمد ح (٢٣٠٦٤) ، وعلقه البخاري (١٣/ ٣٧٢)

(٢) سورة يونس آية : ٦١

والأول أولى لقوله: " **مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ، مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنَ الصَّوْتِ يَتَغَنّى بالقُرْآنِ** " أي يجهر به، **والأذن:** الاستماع لدلالة السياق عليه، وكما قال تعالى: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ (1) أي استمعت لربها، **وَحُقَّت:** أي وحق لها أن تستمع أمره وتطيعه، فالأذن ههنا هو الاستماع، ولهذا جاء في حديث رواه ابن ماجه بسند جيد عن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله ﷺ:" لَلَّهُ أَشَدُّ أَذَنًا إِلَى الرَّجُلِ الْحَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ مِنْ صَاحِبِ الْقَيْنَةِ إِلَى قَيْنَتِهِ " (2) " (3)

إن قارئ كتاب الله مدعو إلى بذل غاية الاجتهاد في تحسين الصوت بالقرآن وتحبيره، ففي حديث سعد رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:" لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ " (4)، وفي حديث البراء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: " زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ " (5)

وكان النبي ﷺ أحسن الناس صوتاً، ففي الصحيحين من حديث البراء رضي الله عنه قال: " سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ: ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ فِي الْعِشَاءِ، وَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا مِنْهُ أَوْ قِرَاءَةً " (6)

---

(١) سورة الانشقاق الآيتين: ١- ٢

(٢) أخرجه ابن ماجه ح (١٣٤٠)

(٣) تفسير ابن كثير (٤٧٨/٧- ٤٧٩) (فضائل القرآن)

(٤) أخرجه البخاري ح (٧٥٢٧)

(٥) أخرجه أحمد ح (١٨٥١٧)، وابن خزيمة ح (١٥٥٦)

(٦) أخرجه البخاري ح (٧٦٩)، ح (٧٥٤٦)، ومسلم (٤٦٤)

وفيهما من حديث جبير بن مطعم ﷺ قال: " سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بـــ ﴿ الطور﴾ ، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قـــراءة منه " . وفي بعض رواياته: " فلما سمعته قرأ: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾، كاد قلبي يطير، وفي رواية :" خلت فؤادي ينصدع"[1]

وفي حديث عبد الله بن مغفل ﷺ قال: " قرأ رسول الله ﷺ يوم فـــتح مكة سورة الفتح، وهو على ناقته قراءة لينة يقرأ وهو يرجِّع "، وفي رواية: " فما سمعت قراءة أحسن منها يرجِّع. " [2]

واستمع النبي ﷺ إلى قراءة أبي موسى ﷺ وأثنى على قرأته فقال له: " يا أبا موسى، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود " [3]

وفي رواية لمسلم: " لو رأيتني وأنا أستمع قراءتك البارحة " [4]

وأخرجه أبو يعلى بزيادة فيه أن أبا موسى ﷺ قال: " أما إني لو علمت بمكانك لحبرته لك تحبيراً"[5].

قال الحافظ ابن كثير: " فدل على جواز تعاطي ذلك وتكلفه، وقـــد كان أبو موسى ﷺ كما قال عليه الصلاة والسلام قد أعطي صوتاً حسناً

---

(١) أخرجه البخاري ح (٧٦٥) ، ح (٤٨٥٤)، ومسلم ح (٤٦٣)

(٢) أخرجه البخاري ح (٥٠٤٨)

(٣) أخرجه البخاري ح (٥٠٤٧) ، ومسلم ح (٧٩٣)

(٤) أخرجه مسلم ح (٧٩٣)

(٥) أخرجه أبو يعلى ح (٧٢٧٩)

مع خشية تامة، ورقة أهل اليمن، فدل على أن هذا من الأمور الشرعية"[1]

وروى أبو عبيد عن أبي سلمة ﷺ قال: كان عمر ﷺ إذا رأى أبا موسى قال: " ذكرنا ربنا يا أبا موسى فيقرأ عنده " [2]

وعن ابن سعد من حديث أنس ﷺ: أن أبا موسى ﷺ قام ليلة يصلي فسمع أزواج النبي ﷺ صوته - وكان حلو الصوت - فقمن يستمعن فلما أصبح قيل له، فقال: " لو علمت لحبرته لهن تحبيراً " [3]

وهذه الأحاديث تدل على استحباب استماع القرآن من ذي الصوت الحسن لما له من أثر في رقة القلب، وجريان الدمع، وحسن التدبر، وكان عمر ﷺ يقدم الشاب الحسن الصوت، لحسن صوته بين يدي القوم .[4]

وأخرج ابن ماجه بسنده عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: أبطأت على رسول الله ﷺ ليلة بعد العشاء، ثم جئت، فقال: " أين كنت؟ " قلت: كنت أسمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد، قالت: فقام فقمت معه حتى استمع له، ثم التفت إلي

(١) تفسير ابن كثير (٤٨٢/٧) (فضائل القرآن)

(٢) أخرجه الدارمي (٤٧٢/٢)

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤ / ١٠٨)

(٤) ينظر: فتح الباري (٩ / ٩٣)

فقال: " هذا سالم مولى أبي حذيفة، الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا.... " [1]

إن قارئ كتاب الله تبارك وتعالى مطلوب منه تحسين الصوت، وتطيبه بقدر المستطاع، فإن لم يكن حسن الصوت فليحسنه ما استطاع، فقد سئل ابن أبي مليكة فقيل له: " أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت ؟ قال: يحسنه ما استطاع " [2]، وليكن حسن الصوت مصحوباً بخشوع القلب وانكساره وخضوعه وحسن التدبر والتأمل لما يقرؤه .

أخرج أبو عبيد بسنده عن طاووس قال: " أحسن الناس صوتاً بالقرآن أخشاهم لله تعالى" [3]

وإذا رزق العبد حسن الصوت بالقرآن؛ فعليه أن يتذكر هذه النعمة، ويقوم بحقها، ويخلص لله فيها، يقول الإمام الآجري: " ينبغي لمن رزقه الله حسن الصوت بالقرآن أن يعلم أن الله قد خَصَّهُ بخير عظيم، فليعرف قدر ما خَصَّه الله به، وليقرأ لله لا للمخلوقين، وليحذر من الميل إلى أن يُستمع منه ليحظى به عند السامعين رغبة في الدنيا والميل إلى حسن الثناء والجاه من أبناء الدنيا.... ، فمن مالت نفسه إلى ما نهيته عنه خفت أن يكون حسن صوته فتنة عليه، وإنما ينفعه حسن صوته إذا خشي الله – عز وجل – في السر والعلانية، وكان مراده أن يُستمع منه القرآن لينتبه أهل الغفلة

---

(١) أخرجه ابن ماجه ح (١٣٣٨)، وقال ابن كثير: إسناده جيد.

(٢) أخرجه أبو داود ح (١٤٧١)، وصحح إسناده الحافظ في الفتح (٩ / ٧٢)

(٣) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ٨٠) وابن أبي شيبة (١٠/ ٤٦٤)

عن غفلتهم، فيرغبوا فيما رغبهم الله عز وجل، وينتهوا عما نهاهم، فمن كانت هذه صفته انتفع بحسن صوته وانتفع به الناس " (١)

ولتكن قراءة القارئ جارية على سنن العرب في نطقها وكلامها، مراعية الأداء المتلقى عن النبي ﷺ وأصحابه، بعيدة عن التكلف .

قال النووي – رحمه الله –: " أجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت بالقرآن ما لم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط، فإن خرج حتى زاد حرفاً أو أخفاه حرم ... " (٢)

وقال الحافظ ابن كثير: " والغرض أن المطلوب شرعاً إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن، وتفهمه والخشوع والخضوع والانقياد للطاعة .... ، فأما الأصوات بالنغمات المحدثة المركبة على الأوزان والأوضاع الملهية والقانون الموسيقائي، فالقرآن يُنزه عن هذا ويجل ويعظم أن يُسلك في أدائه هذا المذهب " (٣)

قال الحافظ ابن القيم: " التطريب والتغني على وجهين: أحدهما: ما اقتضته الطبيعة، وسمحت به من غير تكلف، ولا تمرين، ولا تعليم بل إذا خلا وطبعه واسترسلت طبيعته جاءت بذلك التطريب والتلحين فذلك جائز، وإن أعان طبيعته بفضل تزيين وتحسين ... فهذا هو الذي كان

(١) أخلاق حملة القرآن (ص : ٧٩)

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن (ص: ٧٢)

(٣) تفسير ابن كثير (٤٨٣/٧) (فضائل القرآن)

السلف يفعلونه ويستمعونه، وهو التغني المحمود، وهو الذي يتأثر به التالي والسامع ......، الوجه الثاني: ما كان من ذلك صناعة من الصنائع، وليس في الطبع السماحة به، بل لا يحصل إلا بتكلف وتصنع وتمرن كما يتعلم أصوات الغناء بأنواع الألحان البسيطة والمركبة على إيقاعات مخصوصة، وأوزان مخترعة، لا تحصل إلا بالتعلم والتكلف ..... فهذه هي التي كرهها السلف وعابوها وذموها ومنعوا القراءة بها، وأنكروا على من قرأ بها .... " (١)

❁❁❁❁❁❁

---

(١) زاد المعاد (١/٤٩٢- ٤٩٣)

الأمر بتعاهده واستذكاره

عَنْ ابْنِ عُمَرَ – رَضي الله عَنْهُمَا –: أَنَّ رَسُولُ الله ﷺ قَالَ: " إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ القُرْآنِ كَمَثَلِ صَاحِب الإبِلِ الُمعَقَّلَةِ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتَ، وَإِذَا قَامَ صَاحِبُ القُرْآنِ فَقَرَأَهُ باللَّيْلِ والنَّهَارِ ذَكَرَهُ، وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ "

أخرجه البخاري ح (٥٠٣١) ، ومسلم ح (٧٨٩)

وَعَنْ عَبْد الله ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: " بِئْسَمَا لأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولُ نَسِيتُ آيَة كَيْتَ وَكَيْتَ ، بَلْ هُوَ نُسِّيَ ، اسْتَذْكِرُوا القُرْآنَ فَلَهُو أَشَدُّ تَفَصِّياً مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ بِعُقُلِهَا"

أخرجه البخاري ح (٥٠٣٢) ، ومسلم ح (٧٩٠)

وَعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " تَعَاهَدُوا هَذَا القُرْآنَ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتاً مِنَ الإِبلِ فِي عُقُلِهَا "

أخرجه البخاري ح (٥٠٣٣) ، ومسلم ح (٧٩١)

شرح الأحاديث

تضمنت هذه الأحاديث الحث والترغيب في كثرة تلاوة القرآن ودوام دراسته وتعاهده واستذكاره، فإن الذي يداوم على ذلك يذل له لسانه،

ويسهل عليه قرأته، فإذا هجره ثقلت عليه القراءة وشقت عليه وعرضه حافظه للنسيان، وهذا تفريط شديد وتهاون كبير .

قال الضحاك بن مزاحم: " ما من أحد تعلم القرآن فنسيه إلا بذنب يحدثه، لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾[١]، وإن نسيان القرآن من أعظم المصائب" [٢]

وشبه النبي ﷺ صاحب القرآن الذي ألف تلاوته وداوم عليها بصاحب الإبل المعقلة، **والمعقلة:** المشدودة بالعقال وهو الحبل الذي يشد في ركبة البعير، فشبه الاستمرار في تعاهد القرآن ودراسته بربط البعير الذي يخشى منه الشرود، فإذا كان التعاهد موجوداً فالحفظ موجود، كما أن البعير ما دام مشدوداً بالعقال فهو محفوظ .

وَخَصَّ الإبل بالذكر لأنها أشد الحيوان الإنسي نفوراً، وفي تحصيلها بعد استمكان نفورها صعوبة، بل إن النبي ﷺ وصف تفلت القرآن من الصدور بأنه أشد من تفلت الإبل في عقلها، ففي حديث ابن مسعود رضي الله عنه : " **فَلَهُو أَشَدُّ تَفَصِّياً مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ بِعُقُلِهَا** "، وفي حديث أبي موسى رضي الله عنه : " **أَشَدُّ تَفَلُّتاً مِنَ الإِبِلِ فِي عُقُلِهَا** "

---

(١) سورة الشورى آية : ٣٠

(٢) تفسير ابن كثير (٤٩٤/٧) (فضائل القرآن)

فمعنى ذلك أن الإبل في عقلها تطلب التفلت والتخلص من رباطها فمتى لم يتعاهدها صاحبها تفلتت، فكذلك صاحب القرآن إن لم يتعهده تَفَلَتْ بل هو أشد من ذلك .

وقوله: " **أَشَدُّ تَفَصِّياً** " التفصي: التخلص، يقال: تفصى فلان من البلية إذا تخلص منها، ومنه تفصى النوى من الثمرة إذا تخلص منها.......

قال ابن بطال:" هذا الحديث يوافق الآيتين: قوله تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾، فمن أقبل عليه بالمحافظة والتعاهد يسر له، ومن أعرض عنه تَفَلَتْ منه " [1]

وقوله في حديث ابن مسعود ﷺ: " **بِئْسَمَا لأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولُ نَسِيتُ آيَة كَيْتَ وَكَيْتَ، بَلْ هُوَ نُسِّيَ** " وكلمة نُسِّي رويت: بالتخفيف بفتح النون وتخفيف السين، ورويت بالتثقيل بضم النون وتثقيل السين .

قال الحافظ ابن حجر: " والتثقيل هو الذي وقع في جميع الروايات في البخاري، وكذا في أكثر الروايات في غيره، ويؤيده ما وقع في رواية أبي عبيد في الغريب بعد قوله: " كَيْتَ وَكَيْتَ ليس هو نَسِيَ ولكن نُسِّيَ.... " [2]

قال القرطبي: " التثقيل معناه أنه عوقب بوقوع النسيان عليه لتفريطه في معاهدته، واستذكاره، وعلى التخفيف فيكون معناه تركه غير ملتفت

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠ /٢٦٨)

(٢) فتح الباري (٩/ ٨٠)

إليه، ولا مُعْتَني به ... كما قال تعالى: ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِـــيَهُمْ... ﴾ ، أي تركهم في العذاب أو تركهم من الرحمة " (١)

وقال: " إن نسيان القرآن إنما يكون لترك تعاهده وللغفلة عنه كما أن حفظه إنما يثبت بتكراره والصلاة به كما قال في حديث ابـــن عمـــر – رضي الله عنهما-: " **وَإِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْـــلِ وَالنَّهَـــارِ ذَكَرَهُ، وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ** " فإذا قال الإنسان: نسيت آية كيت وكيت فقد شهد على نفسه بالتفريط وترك معاهدته له، وعلى هذا فمتعلق الذم ترك ما أمر به من استذكار القرآن وتعاهده، والنسيان علامة ترك ذلك، فعلق الذم عليه، ولا يقال: حفظ جميع القرآن ليس واجباً على الأعيـــان فكيف يُذم من تغافل عن حفظه ... لأنا نقول من جمع القرآن فقد علت رتبته ومرتبته، وشرف في نفسه وقومه شرفاً عظيماً، وكيـــف لا يكـــون ذلك ؟، ومن حفظ القرآن فكأنما أدرجت النبوة بين كتفيه، وقد صار ممن يقال فيه: هو من أهل الله وخاصته، وإذا كان كذلك فمن المناسب تغليظ العقوبة على من أخل بمرتبته الدينية ، ومؤاخذتـــه بمـــا لا يؤاخـــذ بـــه غيره..."(٢)

وإذا حصل النسيان عن غير تفريط ولا إهمال فإن الإنسان لا يؤاخذ على ذلك، وقد جاء في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سمع رسول

(١) المفهم (٢/ ٤١٩)

(٢) الموضع السابق

الله ﷺ رجلاً يقرأ في سورة بالليل فقال: " رَحِمَهُ اللَّهُ لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَـذَا وَكَذَا آيَةً أَسْقَطْتُهَا فِي سُورَةِ كَذَا وَكَذَا " [1]

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله–: " وفي هذا الحديث دليل على أن حصول النسيان للشخص ليس بنقص لـه إذا كـان بعـد الاجتـهاد والحرص... " [2]

وقال الحافظ ابن حجر – رحمه الله –: " فمن نشأ نسيانه عن اشتغاله بأمر ديني كالجهاد لم يمتنع عليه قول ذلك لأن النسيان لم ينشأ عن إهمال ديني، وعلى ذلك يحمل ما ورد من ذلك عن النبي ﷺ من نسبة النسـيان إلى نفسه، ومن نشأ نسيانه عن اشتغاله بأمر دنيوي – ولا سيما إن كان محظوراً – امتنع عليه لتعاطيه أسباب النسيان .... " [3]

وكان من هدي النبي ﷺ وأصحابه ﷺ ومن تبعهم من سلف هـذه الأمة في تعاهد القرآن واستذكاره العناية بأمرين هما:

١- تحزيب القرآن، وذلك بتخصيص قدر من القرآن وتعاهد قراءتـه في كل يوم وليلة .

(١) أخرجه البخاري ح (٥٠٣٧) ، ومسلم ح (٧٨٨)

(٢) تفسير ابن كثير (٤٩٦/٧) (فضائل القرآن)

(٣) فتح الباري (٨٥/٩)

- فعن عبد الرحمن بن عبد القاري قال: سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يقول قال رسول الله ﷺ: " مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنْ اللَّيْلِ " (١)

- وفي حديث أوس بن حذيفة ﷺ أن النبي ﷺ كان يأتي وفد ثقيف لما قدموا عليه فيحدثهم، وأنه أبطأ عليهم ليلة فقالوا: لَقَدْ أَبْطَأْتَ عَنَّا اللَّيْلَةَ؟ قال: " إِنَّهُ طَرَأَ عَلَيَّ جُزْئِي مِنْ الْقُرْآنِ فَكَرِهْتُ أَنْ أَجِيءَ حَتَّى أُتِمَّهُ " قَالَ أَوْسٌ: فسَأَلْتُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَيْفَ يُحَزِّبُونَ الْقُرْآنَ ؟ قَالُوا: ثَلَاثٌ وَخَمْسٌ وَسَبْعٌ وَتِسْعٌ وَإِحْدَى عَشْرَةَ وَثَلَاثَ عَشْرَةَ، وَحِزْبُ الْمُفَصَّلِ وَحْدَهُ " (٢)

وهذا التحزيب الوارد في هذا الحديث موافق لأمر النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن يقرأ القرآن في سبع ولا يزيد على ذلك، فقد قال له النبيﷺ حين بلغه اجتهاده في العبادة: " وَاقْرَأْ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ" قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: " فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عِشْرِينَ " ، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ:

(١) أخرجه مسلم ح (٧٤٧)

(٢) أخرجه أبو داود ح (١٣٩٣)

" فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشْرٍ "، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: " فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ سَبْعٍ وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ " [١]

قال البخاري: " وقال بعضهم: في ثلاث أو في سبع وأكثرهم على سبع " [٢]

وورد آثار عديدة عن الصحابة ﷺ تدل على تعاهدهم ومحافظتهم لحزبهم من القرآن:

فعن عبد الرحمن بن عبد القاري يقول : " استأذنت على عمر بالهاجرة ، فحبسني طويلاً ، ثم أذن لي، وقال : إني كنت في قضاء وردي"[٣]

وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: " إني لأقرأ حزبي أو عامة حزبي وأنا مضجعة على فراشي" [٤]

وعن خيثمة عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما- قال: " انتهيت إليه وهو ينظر في المصحف، قال: قلت: أي شيء تقرأ في المصحف ؟ قال: حزبي الذي أقوم به الليلة " [٥]

---

(١) أخرجه البخاري ح (٥٠٥٤) ، ومسلم ح (١١٥٩)

(٢) البخاري مع الفتح (٩ / ٩٥)

(٣) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص : ٩٣)

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٥٣٢/١٠)

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٥٣١/١٠)

وعن موسى بن علي قال: سمعت أبي قال: أمسكت على فضالة بـــن عبيد القرآن حتى فرغ منه" [(١)]

وبالجملة فقد كانوا يكثرون من تلاوة القرآن ودراســـته وتـــدبره، ويجدون في ذلك حلاوة وطمأنينة وأُنس ....

قال عثمان بن عفان ﷺ : " لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام الله عز وجل " [(٢)]

وقال الحسن البصري: " تفقدوا الحلاوة في ثلاث: الصلاة والقـــرآن والدعاء، فإن وجدتموها فاحفظوا واحمدوا الله على ذلك، وإن لم تجدوها فاعلموا أن أبواب الخير عليكم مغلقة" [(٣)]

ولخص النووي – رحمه الله – ما ورد من آثار عن السلف في قدر ما يختمون فيه القرآن فقال: " كان السلف ﷺ لهم عادات مختلفة في قدر ما يختمون فيه ، فروى ابن أبي داود عن بعض السلف ﷺ أنهم كانوا يختمون في كل شهرين ختمة واحدة، وعن بعضهم في كل شهر ختمـــة، وعـــن بعضهم في كل عشر ليال ختمة، وعن بعضهم في كل ثمان ليـــال وعـــن الأكثرين في كل سبع ليال..... ، والاختيار أن ذلك يختلف بـــاختلاف الأشخاص، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصـــر على قدر ما يحصل له كمال فهم ما يقرؤه، وكذا من كان مشغولاً بنشر

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠ / ٥٣٢)

(٢) أخرجه أحمد في كتاب الزهد (ص : ١٨٨)

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ح (٧٢٢٦)

العلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة، فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له، وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل والهذرمة "[1]

٢- الأمر الثاني المعين على تعاهد القرآن: قيام الليل .

وقد كان من هدي النبي ﷺ إطالة الصلاة بالليل وتطويل القراءة .

- فعن أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - كَيْفَ كَانَتْ صَلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي رَمَضَانَ ؟، قَالَتْ: " مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ، وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلَاثًا .... "[2]

- وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ – رضي الله عنها - عَنْ صَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي تَطَوُّعِهِ ؟ ، فَقَالَتْ:" كَانَ يُصَلِّي مِنْ اللَّيْلِ تِسْعَ رَكَعَاتٍ فِيهِنَّ الْوِتْرُ، وَكَانَ يُصَلِّي لَيْلًا طَوِيلًا قَائِمًا، وَلَيْلًا طَوِيلًا قَاعِدًا، وَكَانَ إِذَا قَرَأَ وَهُوَ قَائِمٌ رَكَعَ وَسَجَدَ وَهُوَ قَائِمٌ، وَإِذَا قَرَأَ قَاعِدًا رَكَعَ وَسَجَدَ وَهُوَ قَاعِدٌ وَكَانَ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ"[3]

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن (ص: ٤٦)

(٢) أخرجه مسلم ح (٧٣٨)

(٣) أخرجه مسلم ح (٧٣٠)

– وعنها أن رسول الله ﷺ " كَانَ يُصَلِّي جَالِسًا، فَيَقْرَأُ وَهُوَ جَالِسٌ، فَإِذَا بَقِيَ مِنْ قِرَاءَتِهِ قَدْرُ مَا يَكُونُ ثَلَاثِينَ أَوْ أَرْبَعِينَ آيَةً، قَامَ فَقَرَأَ وَهُوَ قَائِمٌ، ثُمَّ رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ ثُمَّ يَفْعَلُ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ مِثْلَ ذَلِكَ " (١)

– وعن حذيفة رضي الله عنه قال: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ: " سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ "، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: " سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ "، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ: " سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى "، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ . (٢)

– وعن عبد الله رضي الله عنه قال : " صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَطَالَ حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سَوْءٍ، قَالَ: قِيلَ وَمَا هَمَمْتَ بِهِ ؟ قَالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَجْلِسَ وَأَدَعَهُ " (٣)

واقتدى الصحابة رضي الله عنهم بنبيهم ﷺ فكانوا يحافظون على قيام الليل .

---

(١) أخرجه البخاري ح (١١١٨،١١١٩) ، ومسلم (٧٣١)

(٢) أخرجه مسلم ح (٧٧٢)

(٣) أخرجه البخاري ح (١١٣٥) ، ومسلم ح (٧٧٣)

– فعن أبي موسى ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " إِنِّي لَأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الْأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ، حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ..... " (1)

– وأخرج أبو عبيد بإسناده أن رجلاً سأل عبد الرحمن بن عثمان التيمي عن صلاة طلحة بن عبيد الله ﷺ فقال: إن شئت أخبرتك عن صلاة عثمان ﷺ ؟ فقال: نعم، قال: قلت لأغلبن الليلة النفر على الحجر – يريد المقام – قال: فلما قمت إذا برجل مقنع يزحمني، فنظرت فإذا عثمان بن عفان ﷺ فتأخرت عنه فصلى، فإذا هو يسجد سجود القرآن حتى إذا قلت: هذا هو أذان الفجر أوتر بركعة لم يصل غيرها. (2)

– ثم روى عن ابن سرين قال: " قالت نائلة بنت الفرافصة حين دخلوا على عثمان ليقتلوه: أن تقتلوه أو تدعوه، فقد كان يُحيي الليلة بركعة يجمع فيها القرآن . " (3)

والآثار المروية عن الصحابة ﷺ، ومن تبعهم من سلف هذه الأمة في قيام الليل كثيرة، يطول المقام بذكرها .

(1) أخرجه البخاري ح (٤٢٣٢) ، ومسلم ح (٢٤٩٩)

(2) أخرجه عبد الرزاق (٢٤/٣) ، وأبو عبيد في فضائل القرآن (ص : ٩٠)

(3) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٦٧/١)

يقول أبو الأحوص: " إن كان الرجل ليطرق الفسطاط قال فيجد لهم دويا كدوي النحل، فما بال هؤلاء يأمنون ما كان أولئك يخافون " [1]

وما جاء عن عثمان بن عفان ﵁، من قراءة القرآن في ليلة لم يكن النبي ﷺ يفعله ولعل عثمان ﵁ اغتنم فضل المكان - كما سيأتي - .

قالت عائشة - رضي الله عنها -: " ولا أعلم نبي الله ﷺ قرأ القرآن كله في ليلة، ولا صلى ليلة إلى الصبح ....." [2]

وورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث، ففي حديث عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- أن النبيﷺ قال : " لَا يَفْقَهُ مَنْ قَرَأَهُ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثٍ" [3]

– وعن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: " اقرءوا القرآن في سبع ، ولا تقرؤه في أقل من ثلاث"[4]، وأنكر ﵁ على رجل قال: إني قرأت المفصل في ركعة، فقال: " أهذاً كهذا الشعر ؟ إن أقواماً يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع " [5]

ولهذا فقد كره غير واحد من السلف قراءة القرآن في أقل من ثلاث، وهو اختيار الإمام أحمد، وأبي عبيد، وإسحاق، وغيرهم، ومن ترخص

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (ط . كمال الحوت (٧ / ١٥٥)

(٢) أخرجه مسلم ح (٧٤٦)

(٣) أخرجه أبو داود ح (١٣٩٤)

(٤) أخرجه البيهقي في السنن (٣٩٦/٢)

(٥) أخرجه مسلم ح (٨٢٢)

منهم في قراءة القرآن في أقل من ثلاث فمحمول على أنه لم يبلغه النهي، أو أنهم كانوا يفهمون، ويتفكرون فيما يقرءونه مع قراءتهم له في أقل من ثلاث . [1]

ومن أهل العلم من حمل النهي على المداومة على ذلك.

قال الحافظ ابن رجب: " وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة كشهر رمضان خصوصاً الليالي التي يطلب فيها ليلة القدر ، أو في الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها، فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتناماً للزمان والمكان ، وهو قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة ، وعليه يدل عمل غيرهم..." [2]

❁❁❁❁❁❁

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٧ / ٥٠٤) (فضائل القرآن)

(٢) اللطائف (ص: ٢٠٢)

فضل حملة القرآن

عَنْ أبي مُوسَى الأشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: " مَثَلُ المُؤْمِنِ الذِي يَقْرَأُ القَرْآنَ كَمَثَل الأُتْرُجَّةِ رِيحُها طَيَّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ المُؤمِنِ الذِي لا يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَل التَّمْرَةِ لا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَل الرَّيحانَةَ رِيحُها طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلَ المُنَافِقِ الذِي لا يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَل الحنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ "

أخرجه البخاري ح (٥٤٢٧) ، ومسلم ح (٧٩٧)

شرح الحديث

في هذا الحديث يبين النبي ﷺ فضل قراءة القرآن وتفاوت حظوظ الناس في هذه القراءة ويقسم النبي ﷺ الناس إلى أربعة أصناف، ويضرب لكل صنف مثلاً يُجلي أمره ، ويوضح حقيقته .

فالصنف الأول: " المُؤْمِنِ الذِي يَقْرَأُ القَرْآنَ كَمَثَل الأُتْرُجَّةِ رِيحُها طَيَّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ "

وهذا الصنف هو خير الأصناف وأفضلها، مؤمن جمع إلى إيمانه قراءة القرآن وتلاوته، وهي تلاوة مقرونة بالعمل والاستجابة لله ورسوله، ولهذا فقد جاء في رواية عند البخاري: " **المؤمن الذي يقرأ القرآن**

ويعمل به " وقد شبه النبي ﷺ هذا الصنف بالأترجة: ريحها طيب وطعمها طيب .

والأُتْرُجَّة : - بضم فسكون فضم ، فجيم مشددة - نوع من الفاكهة .

قال الحافظ: " قيل خَص صفة الإيمان بالطعم ، وصفة التلاوة بالريح لأن الإيمان ألزم للمؤمن من القرآن إذ يمكن حصول الإيمان بدون القراءة، وكذلك الطعم ألزم للجوهر من الريح فقد يذهب ريح الجوهر ويبقى طعمه، ثم قيل: الحكمة في تخصيص الأترجة بالتمثيل دون غيرها من الفاكهة التي تجمع طيب الطعم والريح كالتفاحة ، لأنه يتداوى بقشرها ، وهو مفرح بالخاصية، ويستخرج من حبها دهن له منافع، وقيل إن الجن لا تقرب البيت الذي فيه الأترجة، فناسب أن يمثل به القرآن الذي لا تقربه الشياطين ، وغلاف حبه أبيض فيناسب قلب المؤمن وفيها أيضاً من المزايا كبر جرمها، وحسن منظرها، وتفريح لونها، ولين ملمسها، وفي أكلها مع الالتذاذ طيب نكهة ودباغ معدة ، وجودة هضم، ولها منافع أخرى ... " (١)

قال الحافظ ابن القيم - بعد أن ذكر منافع الأترج وخصائصه - : " وحقيق بشيء هذه منافعه أن يُشبه به خلاصة الوجود، وهو المؤمن الذي

(١) فتح الباري (٩/٦٦- ٦٧)

يقرأ القرآن، وكان بعض السلف يحب النظر إليه لما في منظره من التفريح" [(١)]

ثم ذكر النبي ﷺ الصنف الثاني فقال: " وَمَثَلُ الْمُؤمِنِ الـذِي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَل التَّمْرَةِ لا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ "

وهذا الصنف أدنى مترلةٍ وأقل رتبةٍ من الصنف الأول، فالمؤمن الذي لا يقرأ القرآن تحققت له فضيلة الإيمان، وفاته تلاوة القرآن التي تظهر على اللسان وتخرج من الفم فهي بمثابة الريح الطيبة التي تفوح من الفم فشبه بالتمرة التي تتصف بحلاوة الطعم، ولكنها تفتقد الرائحة الذكية الطيبة .

ثم قال عليه الصلاة والسلام عن الصنف الثالث: " وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَل الرَّيحَانَةَ رِيحُها طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌ " وفي رواية: **" مثل الفاجر الذي يقرأ القرآن "**

والريحانة: نبات طيب الرائحة، مر المذاق، فما يخرج من فم المنافق من كلمات القرآن العظيم فهي ذاكية الرائحة، وأما الناطق بها فخبيث المعدن، سيئ الطوية فهو مثل الريحانة الموصوفة بالمرارة.

قال ابن بطال: " قراءة الفاجر والمنافق لا ترتفع إلى الله ولا تزكو عنده، وإنما يزكو عنده ويرتفع إليه من الأعمال ما أريد به وجهه، وكان عن نية وقربة إليه تعالى، ألا ترى أنه شبه الفاجر الذي يقرأ القرآن

---

(١) زاد المعاد (٤/٢٨٥)

بالريحانة، ريحها طيب، وطعمها مر حين لم ينتفع ببركة القرآن، و لم يفز بحلاوة أجره، فلم يجاوز الطيب حلوقهم من موضـــع الصـــوت .... وهؤلاء هم الذين يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية " (١)

قال الحسن البصري: " قراء القرآن على ثلاثة أصـــناف: صـــنف اتخذوه بضاعة يأكلون به، وصنف أقاموا حروفه، وضـــيعوا حـــدوده، واستطالوا به على أهل بلادهم .... كثير هذا الضرب من حملة القرآن لا كثرهم الله، وصنف عمدوا إلى دواء القرآن فوضعوه على داء قلـــوبهم، واستشعروا الخوف وارتدوا الحزن، فأولئك يسقي الله بهم الغيث، وينصر بهم على الأعداء، والله لهذا الضرب من حملة القرآن أعز من الكبريـــت الأحمر " (٢)

ثم قال عليه الصلاة والسلام عن الصنف الرابع : " وَمَثَلَ الْمُنَافِقِ الذِي لا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَل الحنْظَلَةِ ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌ "

والحنْظَلَة: نبات معروف شديد المرارة، ولا ريح له، فشبه به هذا الصنف الرابع الذي أصيب بسوء المظهر والمخـــبر، وفســـاد الجـــوهر والشكل.

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٥٥٦/١٠)

(٢) ينظر: أخلاق حملة القرآن (ص :٦٤- ٦٥)، الدلائل في غريـــب الحـــديث (ق ٣ / ١٧٥) وسياقه فيه أتم .

وهذا الحديث يدل على فضل القرآن الكريم وفضـــيلة حامليـــه، المؤمنين به العاملين بما جاء فيه حيث شبههم النبي ﷺ بالأترجـــة الـــتي فُضلت على سائر الفواكه .

❁❁❁❁❁❁

نزول السكينة والملائكة عند قراءته

عَنْ البَرَاءِ ﷺ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الكَهْفِ وَعِنْدهُ فَرَسٌ مَربُوط بشَطَنَيْنِ فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ ، فَجَعَلَتْ تَدُورُ وَتَدْنو وَجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ مِنهَا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَال : " تِلْك السَّكِينَةُ تَنزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ . " أخرجه البخاري ح (٥٠١١) ، ومسلم ح (٧٩٥)

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ ﷺ : أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ بَيْنَمَا هُوَ لَيْلَةً يَقْرَأُ فِي مِرْبدِهِ إِذْ جَالَتْ فَرَسُهُ فَقَرَأَ ، ثُمَّ جَالَتْ أُخْرَى فَقَرَأَ ، ثُمَّ جَالَتَ أَيْضاً فَقَال أُسَيْدٌ: فَخَشِيتُ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى فَقمْتُ إِلَيْهَا ، فِإذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فَوْقَ رَأْسِي فِيها أَمْثَالُ السُّرُجِ عَرَجَتْ فِي الجوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا ، قَالَ فَغَدَوْتُ عَلَى رَسُولُ الله ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولُ الله بَيْنَمَا أَنَا البَارِحَةَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ أَقْرَأُ فِي مِرْبدِي إِذْ جَالَتْ فَرَسِي فَقَال رَسُولُ الله ﷺ: " اقْرَأْ ابْنَ حُضَيْرٍ " قَالَ: فقَرَأْتُ ثُمَّ جَالَتْ أَيْضاً ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: " اقْرَأْ ابْنَ حُضَيْرٍ " قَالَ: فقَرَأْتُ ثُمَّ جَالَتْ أَيْضاً فقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: " اقْرَأْ ابْنَ حُضَيْرٍ "، قَالَ: فَانْصَرفْتُ وَكَانَ يَحْيَى قَرِيباً مِنْهَا فَخِشيتُ أَنْ تَطَأَهُ فَرَأَيْتُ مِثْلَ الظُّلَّةِ، فِيها أَمْثَالُ السُّرُجِ ، عَرَجَتْ فِي الجوَّ حَتَّى مَا أَرَاهَا فَقَال رَسُولُ الله ﷺ: " تِلْكَ المَلائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ ، وَلَوْ قَرَأْتَ لأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ "

أخرجه البخاري ح (٥٠١٨) ، ومسلم ح (٧٩٦)

شرح الحديثين

أفاد هذان الحديثان فضل قراءة القرآن، وأنها سبب لتنزل السكينة وحضور الملائكة، وقد بوب البخاري على حديث أسيد بقوله: " باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن " [1]

وهذا الذي حصل لأُسيد بن حضير ﷺ وقع نظيره لثابت بن قيس، فأخرج أبو عبيد بسنده عن جرير بن حازم عن عمه جرير بن يزيد أن أشياخ أهل المدينة حدثوه أن رسول الله ﷺ قيل له: ألم تر ثابت بن قيس بن شماس ؟لم تزل داره البارحة تزهر بمصابيح، قال:" فلعله قرأ سورة البقرة "، قال : فسئل ثابت، فقال: قرأت سورة البقرة . " [2]

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ : " مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ"[3]

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ، رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ

---

(١) فتح الباري (٦٣/٩)

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ١٢٢) ، وينظر: فتح الباري (٥٧/٩)

(٣) أخرجه مسلم ح (٢٦٩٩)

كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي ؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ" (١)

- وقوله في حديث البراء ﷺ : " **بَشَطَنَيْنِ** " جمع شطن بفتح المعجمة وهو الحبل .

- وقوله " **تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ** " هكذا جاء في حديث البراء ﷺ، وفي حديث أبي سعيد ﷺ : " **تلك الملائكة كانت تستمع لك** "

قال ابن بطال: " فمرة أخبر ﷺ عن نزول السكينة، ومرة أخرى عن نزول الملائكة فدل على أن السكينة كانت في تلك الظلة، وأنها تترل أبداً مع الملائكة - والله أعلم - ، ولذلك ترجم البخاري " باب نزول السكينة والملائكة عند القراءة " " (٢)

وقد تعددت أقوال العلماء في تفسير السكينة فقيل: " مأخوذة من السكون وهو الوقار والطمأنينة، وعن وهب بن منبه: "هي روح من الله " ، وعن الضحاك بن مزاحم: " هي الرحمة " ، وعنه: " هي سكون القلب" (٣)

وفي حديث البراء ﷺ أبهم اسم الرجل فقيل: هو أُسيد بن حضير ﷺ كما في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، لكن جاء في حديث أُسيد بن حضير ﷺ عند البخاري من حديثه نفسه أنه كان يقرأ سورة البقرة وهنا

---

(١) أخرجه البخاري ح (٥٥٥) ، ومسلم ح (٦٣٢)

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/٢٥٤)

(٣) ينظر: المفهم (٢/٤٣٨)

في حديث البراء أنه كان يقرأ سورة الكهف قال الحافظ: " وهذا ظاهره التعدد" [(١)]

– وقوله " **بَيْنَمَا هُوَ لَيْلَةً يَقْرَأُ فِي مِرْبَدِهِ** ": هو المكان الذي يجمع فيه التمر ليجف .

– قوله: " **إِذْ جَالَتْ فَرَسُهُ** " : اضطربت

– قوله: " **فَخَشِيتُ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى** " يعني ابنه .

– وقوله: " **فَرَأَيْتُ مِثْلَ الظُّلَّةِ ، فِيها أَمْثَالُ السُّرُجِ، عَرَجَتْ فِي الجَوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا** " **الظلة:** السحابة فوق الرأس مأخوذة من الظل، **والجو:** ما بين السماء والأرض، **والسُّرُج:** جمع سراج شبَّه الأنوار التي رأى في السحابة بها . [(٢)]

– وقوله: " **اقْرأ ابْنَ حُضَيْرٍ....** " أي كان ينبغي أن تستمر على قراءتك، وليس أمراً له بالقراءة في حال مخاطبته، ولذا أجاب أسيد بقوله:" **خَشِيتُ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى** " [(٣)]

– وقوله: " **تِلْكَ المَلائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ** "، وفي حديث أسيد عند البخاري:" تلك الملائكة دنت لصوتك " وفي رواية ابن كعب: " وكان

(١) فتح الباري (٩/ ٥٧)

(٢) المفهم (٢/٤٣٨)

(٣) فتح الباري (٩/٦٤)

أسيد حسن الصوت " وفي رواية ابن أبي ليلى: " أما إنك لو مضـــيت لرأيت الأعاجيب " [١]

ومن خلال ما سبق يتبين أن استماع الملائكة لقراءة أُســـيد بـــن حضير كان استطابة لقراءته لحسن صوته، وحضـــور قلبـــه وخشـــوعه وإخلاصه، ولذا فإن ما حصل لأسيد يعتبر من مناقبه وفضائله ﷺ ويؤخذ من الحديث أن التشاغل بشيء من أمور الدنيا ولو كان من المباح يفوت الخير الكثير فكيف لو كان بغير الأمر المباح . [٢]

❀❀❀❀❀❀

(١) تفسير ابن كثير (٤٧٤/٧) (فضائل القرآن)

(٢) ينظر: فتح الباري (٦٤/٩)

الترغيب بتعلمه وتعليمه

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ : خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ وَنَحْـنُ فِـي الصُّفَّةِ فقَالَ : أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بَطْحَانَ أَوْ الْعَقِيقِ فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطِيعَةِ رَحِمٍ ؟، قُلْنَـا ، بَلَـى يَـا رَسُولَ اللَّهِ ، كُلُّنَا نُحِبُّ ذَلِكَ ، قَالَ : أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنْ الْإِبِلِ"

أخرجه مسلم ح (٨٠٣)

شرح الحديث

في هذا الحديث يرغب النبي ﷺ أصحابه بتعلم كتاب الله والإقبـال عليه، ويهيأ أذهاهم ويشوقها لهذا الترغيب ويستثير هممهم بطرح هـذا السؤال : " **أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بَطْحَانَ أَوْ الْعَقِيقِ** " (وهما واديان من أودية المدينة) **فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَـا قَطِيعَةِ رَحِمٍ؟ "**

والكوماوان: تثنية كوماء وهي الناقة العظيمة السَّنام كأنه كوم وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: " ثلاث خلفات سمان ... " [1] وخص الـنبي ﷺ الإبل لأنها أنفس الأموال عند العرب، ويجيب الصحابة النبي ﷺ بقولهم:"

(١) أخرجه مسلم ح (٨٠٢)

نحب ذلك " ثم يبين لهم النبي ﷺ ما هو خير لهم من ذلك فيقول: " **أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنْ الْإِبِلِ** "

والنبي ﷺ قرب إلى أذهان الصحابة فضل تعلم كتاب الله، وما يترتب على ذلك من الثواب بذكر الإبل، وإلا فإن أقل جزء من ثواب القرآن وتعليمه خير من الدنيا وما فيها .

وكان ابن مسعود ﷺ يمر بالآية فيقول للرجل: " خذها فوالله لهي خير مما على الأرض من شيء"[1]

إن تعلم كتاب الله وتلاوته من أعظم القربات وأجل الطاعات وأفضل العبادات، وقد أثنى الله سبحانه على التالين لكتابه ، العاملين به فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ۞ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [2]

قال قتادة: كان مطرف – رحمه الله – إذا قرأ هذه الآية يقول: هذه آية القراء . [3].

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/٥٠٥)

(٢) سورة فاطر الآيات من :٢٩– ٣٠

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/٤٧٧)

وقد تلقى الرعيل الأول هذا التوجيه النبـــوي بالامتثـــال، وحســـن الاستجابة، فأقبلوا على تعلم القرآن وتدارسه .

يقول أنس ﷺ وهو يصف طائفة من الصحابة يقال لهم القراء: جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا أَنْ ابْعَثْ مَعَنَا رِجَالًا يُعَلِّمُونَا الْقُـــرْآنَ وَالسُّـــنَّةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُمْ الْقُرَّاءُ فِيهِمْ خَالِي حَـــرَامٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَيَتَدَارَسُونَ بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ، وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَجِيئُونَ بِالْمَاءِ فَيَضَعُونَهُ فِي الْمَسْجِدِ وَيَحْتَطِبُونَ فَيَبِيعُونَهُ وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ " [1]

وتعلم الصحابة ﷺ القرآن وتفقهوا فيه وفق منهج قـــويم، ومســـلك رشيد، يقول أبو عبد الرحمن السلمي: " حدثنا من كـــان يقرئنـــا مـــن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم كانوا يقترئون من رســـول الله ﷺ عشـــر آيات، ولا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العمـــل والعلم فانا علمنا العمل والعلم . " [2]

وعن أبي العالية قال: " تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات، فـــإن رسول الله ﷺ كان يأخذه خمساً خمساً." [3]

---

(١) أخرجه مسلم ح (٦٧٧)

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٤٦٠/١٠)

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٤٦١/١٠)

وعن أبي عبد الرحمن السلمي عن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: " كنا إذا تعلمنا من النبي ﷺ عشر آيات لم نتعلم من العشر التي نزلت بعدها حتى نعلم ما فيه " [1]

فهذا المنهج النبوي في تعليم القرآن يرتكز على أمرين:

١- التدرج في تعلم كتاب الله وذلك بأخذ خمس آيات أو عشر آيات – على اختلاف الرواية –، فيكون أخذ القرآن شيئاً فشيئاً. عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال : " لقد عشنا برهةً من دهرنا، وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ﷺ، فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها، وما ينبغي أن يقف عنده منها، ثم لقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته، لا يدري ما آمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه، فينثره نثر الدقل " [2]

٢- العمل بما تضمنته الآيات فحصلوا على العلم والعمل وهذا النهج أشار إليه الله سبحانه وتعالى حيث أخبر عن الحكمة في نزول القرآن مفرقاً ومنجماً فقال سبحانه: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/٥٥٧)، وقال: صحيح الإسناد

(٢) أخرجه البيهقي في السنن (٣ / ١٢٠)، والدقل: هو رديء التمر

وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾[1] وقال:﴿ وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً ﴾[2]

وكان اتباع هذا المنهج له أثر عظيم في فهم الصحابة ﷺ لكتاب الله وإدراك معانيه وأسراره، وبرز فيهم علماء في تفسير كتاب الله عز وجل أمثال: الخلفاء الراشدين وابن مسعود وأبي الدرداء وعائشة وابن عباس وغيرهم .

عن أبي الطفيل عامر بن واثلة الليثي ﷺ قال: " شهدت علياً يخطب وهو يقول: سلوني ، فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم به، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما منه آية إلا وأنا أعلم بليل نزلت أم بنهار ، أم بسهل نزلت أم بجبل " [3]

ويقول ابن مسعود ﷺ: " وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ سُورَةٌ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ حَيْثُ نَزَلَتْ، وَمَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَا أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا هُوَ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي، تَبْلُغُهُ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ " [4]

---

(١) سورة الفرقان آية : ٣٢

(٢) سورة الإسراء آية : ١٠٦

(٣) ينظر: جامع بيان العلم وفضله (١ / ١٣٨) ، الإتقان (٢ / ١٢٢٧)

(٤) أخرجه مسلم ح (٢٤٦٣)

وقال أبو الدرداء ﷺ: " لو أعيتني آية من كتاب الله عز وجل فلم أجد أحداً يفتحها علي إلا رجلاً ببرْك الغماد لرحلت إليه "، قال: وهو أقصى حَجَر باليمن [(١)]

وعن أبي وائل شقيق بن سلمة ﷺ قال: " خطبنا ابن عباس وهو على الموسم، فافتتح سورة البقرة، فجعل يقرأ ويفسر، فجعلت أقول: ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله، لو سمعته فارس والروم لأسلمت " [(٢)]

وعن عروة بن الزبير ﷺ قال: " لقد صحبت عائشة فما رأيت أحداً قط كان أعلم بآية أنزلت ولا بفريضة ولا بسنة ولا بشعر ولا أروى له ولا بيوم من أيام العرب ولا بنسب ولا بقضاء ولا بطب منها .... " [(٣)]

قال مسروق: " ما نسأل أصحاب محمد عن شيء إلا وعلمه في القرآن ولكن علمنا قصر عنه" [(٤)]

وقال شيخ الإسلام: " وللصحابة فهم في القرآن يخفى على أكثر المتأخرين ... وقد قال الإمام أحمد: إنه ما من مسألة إلا وقد تكلم فيها

---

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ٤٥)، ومن بديع تأملات أبي الدرداء في القرآن قوله: " لا يفقه كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة " أخرجه ابن أبي شيبة (١٠ / ٥٢٧)

(٢) تفسير الطبري (١ / ٨٢)

(٣) ينظر: حلية الأولياء (٢ / ٤٩ – ٥٠)، سير أعلام النبلاء (٢ / ١٨٣)

(٤) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص:٤٢

الصحابة أو في نظيرها فإنه لما فتحت البلاد وانتشر الإسلام حدثت جميع أجناس الأعمال ، فتكلموا فيها بالكتاب والسنة...... " [١]

وحين نتأمل بعض المواقف والمناسبات فإنه يتجلى عمق علمهم بكتاب الله ووقوفهم عند آياته .

- ففي حديث أبي هريرة ﷺ قال: لما أنزلت ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾[٢]، بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً ، فقال رسول الله ﷺ: " قَارِبُوا وَسَدِّدُوا، فَفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ حَتَّى النَّكْبَةِ يُنْكَبُهَا، أَوْ الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا " [٣]

- وفي حديث ابن مسعود ﷺ: " قال لما نزلت ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [٤] شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: أينا لم يظلم نفسه ؟ فقال رسول الله ﷺ : " ليس هو كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿ يا بني لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[٥]"[٦]

(١) مجموع الفتاوى (١٩/٢٠٠)

(٢) سورة النساء آية: ١٢٣

(٣) أخرجه مسلم ح (٢٥٧٤)

(٤) سورة الأنعام آية: ٨٢

(٥) سورة لقمان آية: ١٣

(٦) أخرجه مسلم ح (١٢٤)

– وفي حديث أبي هريرة ﷺ قال: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَو تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ.. ﴾[1] الآية، قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ، فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللَّهِ كُلِّفْنَا مِنْ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ، وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ، وَلَا نُطِيقُهَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ "، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي إِثْرِهَا: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ.. ﴾[2] الآية."[3]

فهذه أمثلة يسيرة تدل على ما كان عليه الصحابة ﷺ من وقوفهم عند آيات القرآن، وعمق فهمه، وقراءهم القرآن للعمل، وذلك أنهم عندما رأوا أن هذه الآيات لا يستطيعون أن يعملوا بها ولا يطيقون الاضطلاع بما دلت عليه رجعوا للنبي ﷺ فأزال ما أشكل عليهم وجاء التخفيف من الله لما شق عليهم ، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يعرفون مواطن الشدة في القرآن والتي فيها امتحان لصدقهم وتقواهم وإخلاصهم.

(١) سورة البقرة آية: ٢٨٤

(٢) سورة البقرة آية: ٢٨٥

(٣) أخرجه مسلم ح (١٢٥)

قال أبو موسى الشعري ﷺ : " كُنَّا نَقْرَأُ سُورَةً كُنَّا نُشَبِّهُهَا فِي الطُّــولِ وَالشِّدَّةِ بِبَرَاءَةَ " (١)

وقال حذيفة ﷺ : يقولون سورة التوبة وهي سورة العذاب يعني براءة.(٢)

وتذوق الصحابة ﷺ حلاوة القرآن، وتلذذوا بآياته، وانتفعوا بهداياته:

– ففي حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ كَانَ مِمَّا يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: " مَنْ رَأَى مِنْكُمْ رُؤْيَا فَلْيَقُصَّهَا عَلَيَّ فَأَعْبُرَهَا لَهُ " ، قَالَ فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَرَى اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ ظُلَّةً تَنْطِفُ السَّمْنَ وَالْعَسَلَ فَــأَرَى النَّاسَ يَتَكَفَّفُونَ مِنْهَا بِأَيْدِيهِمْ فَالْمُسْتَكْثِرُ وَالْمُسْتَقِلُّ، وَأَرَى سَبَبًا وَاصِلًا مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ فَأَرَاكَ أَخَذْتَ بِهِ فَعَلَوْتَ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ بَعْــدِكَ فَعَلَا، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلَا، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَانْقَطَعَ بِــهِ ثُــمَّ وُصِلَ لَهُ فَعَلَا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْــتَ وَاللَّــهِ لَتَــدَعَنِّي فَلَأَعْبُرَنَّهَا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اعْبُرْهَا ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمَّا الظُّلَّةُ فَظُلَّــةُ الْإِسْلَامِ، وَأَمَّا الَّذِي يَنْطِفُ مِنْ السَّمْنِ وَالْعَسَلِ فَالْقُرْآنُ حَلَاوَتُهُ وَلِينُهُ، وَأَمَّا مَا يَتَكَفَّفُ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ فَالْمُسْتَكْثِرُ مِــنْ الْقُــرْآنِ وَالْمُسْــتَقِلُّ .... " الحديث (٣)

(١) أخرجه مسلم ح (١٠٥٠)

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/٥٥٤)

(٣) أخرجه البخاري ح (٧٠٤٦)، ومسلم ح (٢٢٦٩)، والدارمي ح (٢٠٦٢) واللفظ له .

فتأمل تعبير أبي بكر ﷺ للظلة التي تنطـــف الســـمن والعســـل ... بالقرآن حلاوته ولينه وهذا فيه تعبير صادق لتـــأثير القـــرآن في قلـــوبهم وتذوقهم لحلاوته ، وتفاوت مراتبهم في ذلك .

– وكان ابن مسعود ﷺ يقول: " إذا وقعـــت في آل حـــم وقعـــت في روضات دمثات أتأنق فيهن " (١)

لقد ألفوا كتاب الله عز وجل فكان ربيع قلوبهم، وشفاء صـــدورهم وجلاء أحزانهم وهمومهم، وهداهم الله به سبل السلام، وأخرجهم مـــن الظلمات إلى النور، فحيوا به ومعه، وتخلقوا بأخلاقه وتأدبوا بآدابه، وقد توالت توجيهاتهم وإرشاداتهم للأمة بالتمسك به والإقبال علـــى تعلمـــه وتعليمه وتلاوته والعمل به، ولعل من المناسب أن أورد شيئاً من المـــأثور عنهم:

– كتب عمر ﷺ كتاباً جاء فيه: " وتعلموا كتاب الله فإنه ينابيع العلم، وربيع القلب. " (٢)

– وخطب أبو بكر ﷺ خطبة وكان مما قال: " وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبه، ولا يطفأ نوره، فصدقوا قولـــه، وانتصـــحوا كتابـــه، واستبصروا فيه ليوم الظلمة ... " (٣)

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٥٥٨/١٠)

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٥٢٥/١٣)

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٥٨/١٣)، والحاكم في المستدرك (٣٨٣/٢)

- وقال عبد الله بن مسعود ﷺ:" إنما هذه القلوب أوعيـــة، فاشـــغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بغيره." [١]
- وقال أبو أمامة: " اقرأوا القرآن، فـــإن الله لا يعـــذب قلبـــاً وعـــى القرآن."[٢]
- وكان حذيفة ﷺ يدخل المسجد فيقف على الحلق فيقول: " يا معشر القراء اسلكوا الطريق فلئن سلكتموه لقد سبقتم سبقاً بعيـــداً، ولـــئن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً. " [٣]
- وقال أبو موسى ﷺ: " إن هذا القرآن كائن لكم أجراً، وكائن لكـــم ذكراً، وكائن لكم وزراً، فاتبعوا القرآن ولا يتبعكم فإنه من يتبع القرآن يهبط به على رياض الجنة، ومن يتبعه القرآن يزخ في قفاه فيقذفـــه في جهنم " [٤]
- وقال عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما -: " من قرأ القرآن فكأنما استدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه . " [٥]

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٥٩/١٣)، (٤٨٤/١٠)

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٥٩/١٣)، (٥٠٦/١٠)

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٧٩/١٣)

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٨٧/١٣)، (٤٨٤/١٠)

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (٤٦٧/١٠)

- وقال ابن عباس – رضي الله عنهما –: " من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة، ووقاه يوم القيامة سوء الحساب، وذلك بأن الله يقول: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى ﴾ [١] " [٢]
- وقال ابن مسعود ﷺ: " من أراد العلم فليقرأ القرآن فإن فيه علم الأولين والأخرين " [٣]
- وقال أُبيّ ﷺ: " كتاب الله ما استبان منه فاعمل به، وما اشتبه عليك فآمن به وكله إلى عالمه"[٤]
- وقال خباب بن الأرت ﷺ: " إن استطعت أن تقرب إلى الله فإنك لا تقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه. " [٥]
- وعن أبي قلابة: أن ناساً من أهل الكوفة أتوا أبا الدرداء ﷺ فقالوا: إن إخواناً من أهل الكوفة يقرؤنك السلام ويأمرونك أن توصيهم قال: فأقرؤهم السلام ومروهم فليعطوا القرآن بخزائمهم فإنه يحملهم على القصد والسهولة ويجنبهم الجور والحزونة . " [٦]

(١) سورة طه آية : ١٢٣

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/٤٦٨)

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/٤٨٥)

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/٤٨٩)

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/٥١١)

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/٥٢٧) ، والخزائم : هي جمع خِزَامَة، وهي حَلَقَة من شَعْر تجعل في أحد جانبي منخري البعير، والمراد الانقياد لحكم القرآن، وإلقاء الأزمة إليه، ينظر: النهاية (٢ / ٢٩)

- وعن عامر بن مطر قال: كنت مع حذيفة ﵁ فقال: " كيف أنت يا عامر بن مطر إذا أخذ الناس طريقاً، والقرآن طريقاً مع أيهما تكون ؟ فقلت: مع القرآن أحيا معه وأموت، قال: فأنت إذاً . [1]
- وقال رجل لابن مسعود ﵁: علمني كلمات جوامع نوافع . قال: " تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتزول مع القرآن حيث زال . " [2]
- وقال سلمان لزيد بن صوحان: " كيف أنت إذا اقتتل القرآن والسلطان ؟ قال: إذاً أكون مع القرآن، قال: نعم الزيد إذا أنت " [3]
- وعن الأعمش قال: مر أعرابي بعبد الله بن مسعود وهو يُقريء قوماً القرآن أو قال: وعنده قوم يتعلمون القرآن، فقال: " ما يصنع هؤلاء؟ فقال ابن مسعود: يقتسمون ميراث محمد ﷺ. " [4]
- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: " عليكم بالقرآن فتعلموه وعلموه أبنائكم فإنكم عنه تسألون، وبه تجزون، وكفى به واعظاً لمن عقل . " [5]

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٥٦٢/١٠)

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٥٦٢/١٠)

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٥٦٢/١٠)

(٤) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ٢١)

(٥) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ٢٢)

- وجاء رجل إلى عبد الله بن مسعود ﷺ فقال: أوصـــني فقـــال: " إذا سمعت الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ فأَرْعها سمعك، فإنه خير يَأمر به أو شر يَنهى عنه . " [١]
- وعن ابن مسعود قال: " إذا أردتم العلم فأثيروا القرآن، فإن فيه خـــبر الأولين والأخريين.."[٢]
- وعن ابن عمرو – رضي الله عنهما – قال: من جمع القرآن فقد حمـــل أمراً عظيماً، وقد استدرج النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليـــه، ولا ينبغي لصاحب القرآن أن يجهل فيمن يجهل، وفي جوفه كلام الله عـــز وجل . " [٣]
- وعن ابن مسعود ﷺ: " إن هذا القرآن مأدوبة الله فخذوا منـــه مـــا استطعتم فإني لا أعلم شيئاً أصغر من بيت ليس فيه مـــن كتـــاب الله شيء، وإن القلب الذي ليس فيه من كتاب الله شيء خرب كخـــراب البيت الذي لا ساكن له . " [٤]
- وعن أبي هريرة ﷺ: " أنه كان يقول: إن البيت ليتسع علـــى أهلـــه، وتحضره الملائكة، وتهجره الشياطين، ويكثر خيره أن يقرأ فيه القـــرآن،

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص: ٣١
(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص: ٤٢
(٣) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص: ٥٣
(٤) أخرجه الدارمي (٤٢٩/٢) ، وابن أبي شيبة (٤٦٢/١٠)

وإن البيت ليضيق على أهله وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين ويقـــل خيره أن لا يقرأ فيه القرآن . " [1]

فهذه الآثار المباركة نطقت بها ألسنة صادقة، وفاضت مـــن قلـــوب واعية مخلصة أيدها الله سبحانه بروح منه، وتفضل عليها بتـــدبر وحيـــه المبارك، وكتابه الهادي إلى الصراط المستقيم، ومحضوا النصـــيحة للأمـــة فتوالت هذه التوجيهات والإرشادات للتمسك به والإقبال على تعلمـــه وتعليمه، فحري بالمسلم أن يحسن تدبرها ويستنير بها .

❁❁❁❁❁❁

(١) أخرجه الدارمي (٤٢٩/٢)

القرآن ذكر الأمة وعزها وشرفها

عَنْ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدَ الحارِثِ لَقِي عُمَرَ بعُسْفَانَ، وَكَانَ عُمَرَ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ فقَالَ: مَنْ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى الْوَادِي ؟ فَقَالَ: ابْنَ أَبْزَى قَالَ: وَمَنْ ابْنُ أَبْزَى ؟ قَالَ: مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا قَالَ : اسْتَخْلَفْت عَلَيْهِمْ مَوْلًى ؟ ، قَالَ إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَاب اللَّهِ تَعَالَى وعَالِمٌ بالفَرَائِضِ قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ "

أخرجه مسلم ح (٨١٧)

شرح الحديث

في هذا الحديث يخبر النبي ﷺ أن الله سبحانه **يرفع** بهذا الكتاب أي: يُشرِّف ويكرم في الدنيا والآخرة بهذا الكتاب وهو القرآن من أقبل على تعلمه وتعليمه والعمل به، **ويضع**: أي يحط ويصغر شأن من أعرض عنه وهجره، ومصداق ما جاء في هذا الحديث قول الله سبحانه:﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ.... ﴾ (١) ، وقال سبحانه عن القرآن: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ (٢)

---

(١) سورة المجادلة الآية: ١٧

(٢) سورة العنكبوت الآية: ٤٩

فأخبر سبحانه بالرفعة وعلو المترلة لأهل العلم، ووصف الله تبـــارك وتعالى الذين حفظوا هذا القرآن وتدبروه وعملوا به بالعلم على ســـبيل المدح لهم والثناء عليهم، وإعلاء شأنهم .

وقال سبحانه في حق من أعرض عن ذكره: ﴿ وَمَنْ أَعْـــرَضَ عَـــنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [1]

وجاء في حديث أبي موسى ﷺ أن النبي ﷺ قال: " إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللَّهُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَـــتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبلَتْ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَـــا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا، وَسَقَوْا وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً فَذَلِكَ، مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِيَ اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّـــمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ " [2]

فضرب النبيﷺ لما جاء به من الكتاب والحكمة مثلاً بالغيث العـــام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه، وكذا كان حال الناس قبل مبعثه ﷺ، فكما أن الغيث يحيي البلد الميت فكذا علوم الدين تحيـــي القلـــب الميت، ثم شبه السامعين له بالأرض المختلفة التي يترل بها الغيث، فمنـــهم العالم العامل المعلم، فهو بمترلة الأرض الطيبة شربت فانتفعت في نفسها،

---

(١) سورة طه الآية: ١٢٤

(٢) أخرجه البخاري ح (٧٩)، ومسلم ح (٢٢٨٢)

وأنبتت فنفعت غيرها، ومنهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه غير أنه لم يعمل بنوافله أو لم يتفقه فيما جمع، لكنه أدَّاه لغيره، فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع الناس بذلك الماء، وهذا المشار إليه بقوله: " نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فأَدَّاهَا كَما سَمِعَهَا " (١) ، ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله لغيره فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها، وإنما جمع في المثل بين الطائفتين الأولين المحمودتين لاشتراكهما في الانتفاع بهما، وأفرد الطائفة الثالثة المذمومة لعدم النفع بها والله أعلم . (٢)

---

(١) أخرجه أحمد ح (١٦٨٠٠) ، والترمذي ح (٢٥٨٠) ، وابن ماجه (١/٨٤)

(٢) ينظر: المفهم (٨٣/٦) ، فتح الباري (١٧٧/١) ، وقال الحافظ ابن رجب في شرحه للحديث: " والذي ذكره النبي ﷺ في حديث أبي موسى تقسيم لها- أي القلوب - بحسب ما يرد عليها من العلم والإيمان إلى قابل لإنبات الكلأ والعشب، وغير قابل لذلك ، وجعلها ثلاثة أقسام: قسم قَبِل الماء، فأنبت الكلأ والعشب الكثير ، وهؤلاء هم الذين لهم قوة الحفظ والفهم والفقه في الدين، والبصر بالتأويل، واستنباط أنواع المعارف والعلوم من النصوص ، وهؤلاء مثل: الخلفاء الأربعة، وأُبيٍّ بن كعب ، وأبي الدرداء ، وابن مسعود وابن عباس . ثم كالحسن وسعيد بن المسيب وعطاء ومجاهد ثم كمالك والليث والثوري والأوزاعي وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد وأبي ثور ومحمد بن نصر المروزي وأمثالهم من أهل العلم بالله وأحكامه وأوامره ونواهيه ، كذلك مثل أويس ومالك بن دينار وإبراهيم بن أدهم، والفضيل بن عياض وأبي سليمان وأمثالهم من أهل العلم بالله وأسمائه وصفاته وأيامه وأفعاله، وقسم حفظ الماء، وأمسكه حتى ورد الناس فأخذوه فانتفعوا به، وهؤلاء هم الذين لهم قوة الحفظ والضبط والإتقان دون الاستناط والاستخراج، وهؤلاء كسعيد بن أبي عروبة والأعمش، ومحمد بن جعفر غندر وعبد الرزاق وعمر الناقد ومحمد بن بشار بندار، =

وأخبر الله سبحانه عن عظيم امتنانه وسابغ نعمته على هـــذه الأمـــة الأمية حيث أنزل عليها هذا الكتاب المجيد فقال سبحانه: ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَـــا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُـــونَ ﴾ (١) ، وقـــال عـــز وجـــل:﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۞ وَإِنَّهُ لَـــذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ (٢)

فبين سبحانه أن هذا الكتاب هو رفعة لهذه الأمة، وشرف لها فهـــو بلغتهم ولسانهم وهو المعجزة الخالدة، والآية الباقية على مـــر الـــدهور، وتوالي القرون، رفع الله به ذكر العرب ومترلتهم ومكانتهم حين تمسكوا به فقادوا به البشرية قروناً طويلة . فسعدوا وسعدت معهم تلك الشعوب بهداياته وتشريعاته وأحكامه، فلما تأخر العرب عن حمله وتبليغه للنـــاس وتخلوا عن أحكامه وتشريعاته، وأعرضوا عن دعوته للأخذ بأسباب القوة والتمكين انحط قدرهم وضعفت مكانتهم وصاروا في ذيل القافلة، وصدق النبي ﷺ حيث يقول في هذا الحديث: " **إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَـــذَا الْكِتَـــابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ** "

= ونحوهم وقسم ثالث: وهم شر الخلق ، ليس لهم قوة الحفظ، ولا قوة الفهم، لا دراية ولا رواية وهؤلاء الذين لم يقبلوا هدى الله و لم يرفعوا به رأساً ...." ينظر : مجمـــوع رســـائل الحافظ بن رجب (٢ / ٥٥٩ – ٥٦٠)

(١) سورة الأنبياء آية : ١٠

(٢) سورة الزخرف الآيات من :٤٣– ٤٤

لقد رفع الله ذكر من تمسك بهذا الكتاب واتبع ما جاء فيه، فهذا نبي هذه الأمة ﷺ الذي كان خلقه القرآن حقق الله له الرفعة التي وعد بها في قوله: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ (1) فمئات الملايين من الشفاه تصلي وتسلم عليه منذ قرابة ألف وأربع مائة عام وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وتذكره ذكر المحب المشتاق آناء الليل وأطراف النهار، وفئام من المؤمنين على مر الدهور والأعصار تتمنى رؤيته ومشاهدته ولو كلفها الأهل والأموال وهم جديرون بقول النبي ﷺ: " مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ " (2)

وقال عليه الصلاة والسلام مخاطباً أصحابه: " وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ فِي يَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ يَوْمٌ وَلَا يَرَانِي ثُمَّ لَأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ مَعَهُمْ " (3)

وحقق الله الرفعة والمترلة لأصحاب النبي ﷺ فجعل لهم لسان صدق في الآخرين ومكنهم في الأرض واستخلفهم فيها كما وعد سبحانه في قوله: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي

---

(1) سورة الشرح آية :٤

(2) أخرجه مسلم ح (٢٨٣٢)

(3) أخرجه مسلم ح (٢٣٦٤)

الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً..... ﴾ (١)

ووعد الله لا يتخلف فكل من أقبل على كتاب الله وتمسك به فإن الله يرفعه في الدنيا والآخرة

قال الشافعي: " من قرأ القرآن عظمت قيمته، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن تفقه نبل قدره، ومن تعلم العربية رق طبعه، ومن تعلم الحساب جزل رأيه، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه " (٢)

وقد كان النبيﷺ يخص قراء القرآن وحملته بالتوقير والاجلال:

- ففي حديث أبي مسعود عن النبيﷺ قال: " يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ .... " (٣)
- وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن سالماً كان يؤم المهاجرين والأنصار في مسجد قباء ، وفيهم عمر وأبو سلمة رضي الله عنهم" (٤)
- وفي حديث جابر أن رسول الله ﷺ كان يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ يَقُولُ: " أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ ؟ " ، فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ .... " (٥)

---

(١) سورة النور آية : ٥٥

(٢) أخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن (ص: ٣٢٤)

(٣) أخرجه مسلم ح (٦٧٣)

(٤) أخرجه البخاري ح (٦٩٢)

(٥) أخرجه البخاري ح (١٣٤٧)

قال الحافظ: " وفيه فضيلة ظاهرة لقارئ القرآن، ويلحق به أهل الفقه والزهد وسائر وجوه الفضل " (١)

وفي صحيح مسلم أن أبا موسى الأشعري ﷺ بَعَثَ إِلَى قُرَّاءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثَلَاثُ مِائَةِ رَجُلٍ قَدْ قَرَءُوا الْقُرْآنَ، فَقَالَ: أَنْتُمْ خِيَارُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَقُرَّاؤُهُمْ فَاتْلُوهُ وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ الْأَمَدُ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ كَمَا قَسَتْ قُلُوبُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّا كُنَّا نَقْرَأُ سُورَةً كُنَّا نُشَبِّهُهَا فِي الطُّولِ وَالشِّدَّةِ بِبَرَاءَةَ فَأُنْسِيتُهَا غَيْرَ أَنِّي قَدْ حَفِظْتُ مِنْهَا: لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى وَادِيًا ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَكُنَّا نَقْرَأُ سُورَةً كُنَّا نُشَبِّهُهَا بِإِحْدَى الْمُسَبِّحَاتِ فَأُنْسِيتُهَا غَيْرَ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْهَا: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ فَتُكْتَبُ شَهَادَةً فِي أَعْنَاقِكُمْ فَتُسْأَلُونَ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ " (٢)

وكان النبي ﷺ وهو يودع الأمة إلى الرفيق الأعلى يذكرها بهذا القرآن ويوصيها .

فعن طلحة بن مصرف قال: " سألت ابن أبي أوفى ﷺ هَلْ أَوْصَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ فَقَالَ لَا، قُلْتُ: فَلِمَ كُتِبَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْوَصِيَّةُ، أَوْ فَلِمَ أُمِرُوا بِالْوَصِيَّةِ ؟، قَالَ: أَوْصَى بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وفي رواية: قُلْتُ: كَيْفَ كُتِبَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْوَصِيَّةُ؟ " (٣)

---

(١) فتح الباري (٢١٣/٣)

(٢) أخرجه مسلم ح (١٠٥٠)

(٣) أخرجه البخاري ح (٥٠٢٢)، ومسلم ح (١٦٣٤) واللفظ له .

وترجم عليه البخاري بقوله: " باب الوصاة بكتاب الله عز وجل " [1]

قال الحافظ: " والمراد بالوصية بكتاب الله حفظه حساً ومعنى، فيكرم ويصان .... ويتبع ما فيه فيعمل بأوامره ويجتنب نواهيه ويداوم تلاوته وتعلمه وتعليمه ونحو ذلك . [2]

وعن زيد بن أرقم ﵁ قال: قَامَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: " أَمَّا بَعْدُ أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ " فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ ثُمَّ قَالَ: " وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ..."، وفي رواية: " كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ حَبْلُ اللَّهِ مَنْ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ...." [3]

قال أبو العباس ثعلب: " سماهما رسول الله ﷺ ثقلين لأن الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل، والعرب تقول لكل شيء نفيس: ثقيل " [4]

---

(١) فتح الباري (٩/٦٧)

(٢) الموضع السابق

(٣) أخرجه مسلم ح (٢٤٠٨)

(٤) المعلم (٣/١٤٢)

قال القرطبي: " فكأنه ﷺ إنما سمى كتاب الله وأهل بيتـــه: ثقلـــين لنفاستهما وعظم حرمتهما وصعوبة القيام بحقهما " [١]

وحث النبي ﷺ على بذل النصيحة لكتاب الله ففي حـــديث تمـــيم الداري ﷺ أن النبيﷺ قال: " الدِّينُ النَّصِيحَةُ "، قُلْنَا: لِمَنْ ؟ قَالَ: " لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ " [٢] والنصيحة لكتـــاب الله تشمل: الإيمان به وتعظيمه وتتريهه، وتلاوته حق تلاوته، والوقوف مـــع أوامره ونواهيه، وتفهم علومه وأمثاله، وتدبر آياته، والدعاء إليـــه، وذب تحريف الغالين وطعن الملحدين عنه . [٣]

❁❁❁❁❁❁

(١) المفهم (٣٠٣/٦)

(٢) أخرجه مسلم ح (٥٥)

(٣) ينظر : جامع العلوم والحكم (٢٢٣/١)

الأمر بقراءة القرآن ما ائتلفت عليه القلوب

عن جندب بن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ قال: " اقْرَؤُا القُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُم ، فإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عنه "

أخرجه البخاري ح (٥٠٦٠) ، ومسلم ح (٢٦٦٧)

شرح الحديث

أرشد النبي ﷺ أمته في هذا الحديث إلى تلاوة كتاب الله وتدارسه إذا كانت القلوب مجتمعة مؤتلفة على تلاوته ، متفكرة متدبرة لمعانيه واستخراج أحكامه فإذا أفضى الأمر إلى الوقوع في الاختلاف والتنازع فأمر النبيﷺ بالقيام والتفرق.

قال القرطبي: " مقصود هذا الحديث الأمر بالاستمرار في قراءة القرآن وفي تدبره، والزجر عن كل شيء يقطع عن ذلك، والخلاف فيه في حالة القراءة قاطع عن ذلك في أي شيء كان من حروفه أو معانيه، والقلب إذا وقع فيه شيء لا يمكن رده على الفور، فأمرهم بالقيام إلى أن تزول تشويشات القلب ويستفاد هذا من قوله: " **اقْرَؤُا القُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُم** "، فإن القراءة باللسان والتدبر بالقلب، فأمر باستدامة القراءة مدة دوام تدبر القلب، فإذا وقع الخلاف في تلك الحال انصرف اللسان عن القراءة، والقلب عن التدبر .... " (١)

(١) المفهم (٦/٦٩٩)

والاختلاف المأمور بالقيام عند وجوده يندرج تحته صور عديدة يحتملها هذا الحديث منها:

١- الاختلاف الذي يؤدي إلى التشاجر والشحناء والمراء والجدل المذموم، فيحصل نقيض ما دعا إليه القرآن من الاعتصام والائتلاف ونبذ التفرق والاختلاف واتباع الهوى .

عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – قال : هَجَّرْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يوماً قَالَ: فَسَمِعَ أَصْوَاتَ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا فِي آيَةٍ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، يُعْرَفُ فِي وَجْهِهِ الْغَضَبُ فَقَالَ: " إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ " (١)

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: " لا تضربوا القرآن بعضه ببعض ، فإن ذلك يوقع الشك في القلوب " (٢)

وعن إبراهيم التيمي قال: " خلا عمر ذات يوم فجعل يحدث نفسه: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد وقبلتها واحدة ؟ فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين إنا أنزل علينا القرآن، فقرأناه وعلمنا فيما نزل، وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن ولا يدرون فيما نزل، فيكون لهم فيه رأي، فإذا كان لهم فيه رأي اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا، قال: فزبره

(١) أخرجه مسلم ح (٢٦٦٦)

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠ / ٥٢٨)

عمر وانتهره، فانصرف ابن عباس، ونظر عمر فيما قال فعرفه، فأرسل إليه فقال: أعد عليّ ما قلت فأعاد عليه فعرف عمر قوله وأعجبه " [١]

ويؤخذ من كلام ابن عباس - رضي الله عنهما- أن من أسباب الاختلاف في القرآن الجهل بمعانيه وفيما أُنزل، ويترتب على هذا تتريل الآيات على غير محلها وفهمها على غير وجهها، وتأويلها على غير المراد منها كما حصل للخوارج حيث قال فيهم ابن عمر - رضي الله عنهما -: " إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين " [٢]

وورد عن عمر رضي الله عنه أنه حين كُتب له من العراق أن رجالاً قد جمعوا كتاب الله تعالى، فكتب إليهم: أن يفرض لهم في الديوان، فكثر من يطلب القرآن، فكُتب إليه بعد عام أنه قد جمع القرآن سبعمائة رجل، فقال عمر: إني أخشى أن يسرعوا في القرآن قبل أن يتفقهوا في الدين، فكتب ألا يعطيهم شيئاً، قال مالك: معناه: مخافة أن يتأولوه غير تأويله[٣]

وقال ابن قتيبة - رحمه الله -: " إن القرآن نزل بألفاظ العرب ومعانيها، ومذاهبها في الإيجاز والاختصار، والإطالة للتوكيد، والإشارة إلي الشيء، وإغماض بعض المعاني، حتى لا يظهر عليه إلا اللقن، وإظهار بعضها وضرب الأمثال لما خفي، ولو كان القرآن كله ظاهراً مكشوفاً

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص: ٤٥)

(٢) أخرجه البخاري معلقاً (١٢ / ٢٨٢)، قال الحافظ: وصله الطبري في مسند علي من تهذيب الآثار وسنده صحيح .

(٣) ينظر: كتاب البدع والحوادث(ص : ٩٨)

حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل لبطل التفاضل بين الناس وسقطت المحنة وماتت الخواطر." [1]

٢- الاختلاف في معان لا يسوغ فيها الاجتهاد مثل الخوض في متشابه القرآن .

فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: تلا رسول الله ﷺ: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [2] ، قالت: قال رسول الله ﷺ : " إِذَا رَأَيْتُمْ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ " [3]

وقال أُبي ﷺ: " كتاب الله ما استبان منه فاعمل به، وما اشتبه عليك فآمن به وكله إلى عالمه" [4]

٣- الاختلاف في القراءة وكيفية الأداء والمنازعة في ذلك، والمراء فيه .

كما جاء في حديث ابن مسعود ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ آيَةً سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قرأ خِلَافَهَا، قال: فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ:

---

(١) تأويل مشكل القرآن (ص: ٨٦)، واللقن: السريع الفهم الذكي

(٢) سورة آل عمران، آية :٧

(٣) أخرجه مسلم ح (٢٦٦٥)

(٤) سبق تخريجه (ص:٨٥)

" كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ فَاقْرَآ " أَكْبَرُ عِلْمِي قَالَ: " فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَأُهْلِكُوا " (١)

قال الحافظ: " وفِي رِوَايَة الْمُسْتَمْلِي " فَأُهْلِكُوا " بِضَمِّ أَوَّله، وَعِنْد اِبْن حِبَّان وَالْحَاكِم مِنْ طَرِيق زِرّ بْن حُبَيْش عَنْ اِبْن مَسْعُود فِي هَذِهِ الْقِصَّة " فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلكُمْ الِاخْتِلَاف "(٢)

ومن المعلوم أنه قد وسع على الأمة في أول الأمر أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف .

ففي حديث عمر ﷺ قال: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَؤُهَا وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَقْرَأَنِيهَا .... الحديث، وفيه أن رسول الله ﷺ قال: " إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ " (٣)

ولما رأى حذيفة ﷺ في خلافة عثمان ﷺ أن الاختلاف في القراءة كاد أن يؤدي إلى الفتنة بين قراء الأمصار طلب من عثمان ﷺ أن يتدارك الأمر قبل أن يستفحل ويحصل الاختلاف كما وقع لأهل الكتاب ، فجمع عثمان ﷺ الناس على مصحف واحد ، كما أخرج البخاري من حديث أنس: " أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ، وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ فِي

(١) أخرجه البخاري ح (٥٠٦٢)

(٢) فتح الباري (١٠٢/٩)

(٣) أخرجه البخاري ح (٤٩٩٢)، ومسلم (٨١٨)

فَتْحِ إِرْمِينِيَةَ وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلَافُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَدْرِكْ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ اخْتِلَافَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةِ: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنْ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ ، فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنْ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ ... " (١)

❁❁❁❁❁❁

(١) أخرجه البخاري ح (٤٩٨٧)

الفصل الثاني في فضائل بعض السور والآيات

فضل فاتحة الكتاب

عن أبي سعيد بن المعلَّى ﷺ قال: كُنت أُصَلِّي ، فَدَعاني النبيُّ ﷺ فَلَم أُجِبه ، قُلت يا رَسُولَ الله إِني كنت أُصَلِّي ، قَالَ:" أَلم يَقل الله: ﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾[1] ؟ ثُم قَالَ: " أَلا أُعلِّمَك أَعظمَ سورة في القرآن قَبل أَنْ تَخرُجَ مِنَ المسجدِ ؟ " فَأخذَ بيدي فَلما أردنا أن نخرج ، قلت: يا رسول الله، إنك قلت: لأعلمنك أعظم سورة في القرآن، قال: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [2] ، هي السبعُ المثاني والقرآنُ العظيمُ الذي أُوتيتهُ .

أخرجه البخاري ح (٥٠٠٦)

شرح الحديث

دل الحديث على أن سورة الفاتحة هي أعظم سورة في كتاب الله، وقد سميت في الحديث بالسبع المثاني والقرآن العظيم، **وسميت بالصلاة** في حديث أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : " قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا

(١) سورة الأنفال آية: ٢٤

(٢) سورة الفاتحة آية: ٢

قَالَ: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ﴾، قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ " (١)

وسميت الرقية لحديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: " كُنَّا فِي مَسِيرٍ لَنَا، فَنَزَلْنَا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ فَقَالَتْ: إِنَّ سَيِّدَ الْحَيِّ سَلِيمٌ، وَإِنَّ نَفَرَنَا غُيَّبٌ، فَهَلْ مِنْكُمْ رَاقٍ ؟، فَقَامَ مَعَهَا رَجُلٌ مَا كُنَّا نَأْبُنُهُ بِرُقْيَةٍ فَرَقَاهُ فَبَرَأَ، فَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ شَاةً، وَسَقَانَا لَبَنًا، فَلَمَّا رَجَعَ قُلْنَا لَهُ: أَكُنْتَ تُحْسِنُ رُقْيَةً أَوْ كُنْتَ تَرْقِي ؟ قَالَ: لَا مَا رَقَيْتُ إِلَّا بِأُمِّ الْكِتَابِ، قُلْنَا: لَا تُحْدِثُوا شَيْئًا حَتَّى نَأْتِيَ أَوْ نَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ ذَكَرْنَاهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: " وَمَا كَانَ يُدْرِيهِ أَنَّهَا رُقْيَةٌ ؟ اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ "(٢)

وسميت بالفاتحة فعن ابن عباس – رضي الله عنهما- قال: " بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنْ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ

---

(١) أخرجه مسلم ح (٣٩٥)

(٢) أخرجه البخاري ح (٥٠٠٧)، وقوله: مَا كُنَّا نَأْبُنُهُ بِرُقْيَةٍ : بكسر الباء وضمها أي نظنه.

أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ " [1]

وقوله في الحديث: " **هي السبعُ المثاني والقرآنُ العظيم** " والمراد بالسبع آياتها فهي سبع آيات

واختلف في تسميتها " **مثاني** " فقيل لأنها: " تثنى في كل ركعة أي تعاد، وقيل : لأنها يثنى بها على الله تعالى ، وقيل: لأنها استثنيت لهذه الأمة لم تنزل على من قبلها . "

والواو في قوله: " **والقرآن العظيم** " قال الكرماني: " هذه الواو للجمع بين الوصفين أي: ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم، وما يوصف بهما " [2]

ومعنى ذلك أن الفاتحة وصفت بأنها السبع المثاني والقرآن العظيم .

ويحتمل أن يكون المعنى أن الفاتحة وصفت بأنها السبع المثاني، ثم عطف قوله " **والقرآن العظيم** " أي ما زاد عن الفاتحة

قال الحافظ: " ويكون التقدير: " والقرآن العظيم هو الذي أوتيته زيادة عن الفاتحة "، ويكون من عطف الكل على الجزء كما قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ "[3]

---

(١) أخرجه مسلم ح (٨٠٦)

(٢) (٣) ينظر: فتح الباري (٨/١٥٨- ١٥٩)

وهذه السورة الكريمة وهي سبع آيات اشتملت على مقاصد الملة وأسس الشريعة حتى قال بعض السلف: " إن الله جمع الكتب المترلة في القرآن، وجمع علم القرآن في المفصل، وجمع علم المفصل في فاتحة الكتاب وجمع علم فاتحة الكتاب في قوله إياك نعبد وإياك نستعين " [1]

وحري بسورة هي أعظم سورة في كتاب الله أن يخصها المسلم بمزيد تدبر وتفهم لمعانيها ومضامينها، وقد افتتح الله سبحانه هذه السورة بقوله: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾، والحمد: هو الثناء على الله تبارك وتعالى لما اتصف به من صفات الكمال والجلال والجمال، ولنعمه وآلائه على عباده، فهو المستحق للحمد دون سواه و " ال " في الحمد للاستغراق أي جميع أصناف الحمد له سبحانه وتعالى .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " فإن الله سبحانه أخبر أن له الحمد، وأنه حميد مجيد، وأن له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم ونحو ذلك من أنواع المحامد، والحمد نوعان: حمد على إحسانه إلى عباده ، وهو من الشكر، وحمد لما يستحقه هو بنفسه من نعوت كماله، وهذا الحمد لا يكون إلا على ما هو في نفسه مستحق للحمد، وإنما يستحق ذلك من هو متصف بصفات الكمال ..... " [2]

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/١٦-١٧)

(٢) مجموع الفتاوى (٦/٨٣- ٨٤)

وقال القرطبي: " الحمد ثناء على الممدوح بصفاته من غير سبق إحسان، والشكر ثناء على المشكور بما أولى من الإحسان وهذا قول علماء اللغة " [1]

﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الرب: هو المالك المتصرف، وهو اسم من أسماء الله تعالى ولا يطلق على غيره إلا مقيداً، فيقال: رب الدار، ورب الضيعة.

قال الزجاج: " الرب: المصلح للشيء، يقال ربيت الشيء أربه ربا وربابة، إذا أصلحته وقمت عليه، ورب الشيء مالكه .. وكل من ملك شيئاً فهو ربه، يقال: رب الدار ورب الضيعة، ولا يقال الرب معرفاً بالألف واللام مطلقاً إلا لله عز وجل لأنه مالك كل شيء " [2]

وقال الراغب: " الرب في الأصل التربية وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام..... ، ولا يقال الرب مطلقاً إلا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات " [3]

العالمين: جمع عالَم وهو كل موجود سوى الله، قال القرطبي: " وهو مأخوذ من العَلَم والعَلامة لأنه يدل على مُوجده " [4]

---

(١) النهج الأسمى (١/٢٧٢)

(٢) اشتقاق أسماء الله (ص: ٣٢)

(٣) ينظر: المفردات (ص: ١٨٤)

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١/١٣٩)

﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم ﴾: اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغـــة، ورحمن أشد مبالغة من رحيم، لأن صيغة فعلان تفيد كثرة الشيء وعظمته كغضبان وسكران، والرحيم: بمعنى دائم الرحمة لأن صيغته فعيل تستعمل في الصفات الدائمة ككريم وظريف ...

وقال أبو علي الفارسي: " الرحمن اسم عام في جميع أنواع الرحمـــة يختص به الله تعالى، والرحيم إنما هو من جهة المـــؤمنين قـــال الله تعـــالى ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ " [(١)]

وفي وصف الله سبحانه نفسه بالرحمن الرحيم بعـــد قولـــه: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ترغيب للعباد ببيان سعة رحمته وشمول إحسانه .

قال القرطبي: " وصف نفسه تعالى بعد ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ بأنـــه ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم ﴾، لأنه لما كان في اتصافه بـــــ ﴿ رَبِّ الْعَـــالَمِينَ ﴾ ترهيب قرنه بـــ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيم﴾، لما تضمن من الترغيب " [(٢)]

﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾: والمالك وصف من الملك - بكسر المـــيم - بمعنى حيازة الشيء مع القدرة على التصرف فيه، وهناك قراءة أخرى للآية

(١) تفسير ابن كثير (٣٨/١)

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٣٩/١)

﴿ مَلِك ﴾ من المُلك – بضم الميم – والمعنى: أنه تعالى هو المدبر لأمور يوم الدين كما قال سبحانه: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (١)

﴿ **الدِّينِ** ﴾ الجزاء والحساب، يقال: دنته بما صنع، أي: جازيته على صنيعه ومنه قولهم: كما تدين تدان أي كما تفعل تجازى

قال الحافظ ابن كثير: " وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه لأنه قد تقدم الإخبار بأنه رب العالمين، وذلك عام في الدين والآخرة، وإنما أضيف إلي يوم الدين لأن لا يدعي أحد هنالك شيئاً ولا يتكلم أحد إلا بإذنه كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفّاً لا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً " (٢)

﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾: وإياك: ضمير منفصل والكاف للخطاب، وقدم المفعول لإفادة الحصر، فالعبادة كلها له سبحانه، والعبادة في اللغة معناها: الذلة يقال طريق معبد وبعير معبد أي مذلل .

قال ابن جرير: " العبودية عند جميع العرب أصلها الذلة، وأنها تُسمي الطريق المذلل الذي وطئته الأقدام وذللته السابلة معبداً " (٣)

وفي الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف وقدم المفعول وهو إياك وَكُرِرَ للاهتمام والحصر، أي لا نعبد إلا إياك ولا نتوكل إلا عليك وهذا هو كمال الطاعة، والدين كله يرجع إلى هذين

(١) سورة غافر الآية : ١٦

(٢) تفسير ابن كثير (١/٤٥) ، والآية بسورة النبأ آية : ٣٨

(٣) تفسير الطبري (١/٦٩)

المعنيين وهذا كما قال بعض السلف الفاتحة سر القرآن، وسرها هذه الكلمة ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، فالأول: تبرؤ من الشرك، والثاني: تبرؤ من الحول والقوة والتفويض إلى الله عز وجل. وهذا المعنى في غير آية من القرآن كما قال تعالى : ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾[1]، ﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ [2] " [3]

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾: الهداية: الإرشاد والتوفيق، والصراط: الجادة والطريق من شرط الشيء إذا ابتلعه، وسمي الطريق بذلك لأنه يبتلع المارين فيه، والمستقيم: المعتدل الذي لا اعوجاج فيه .

قال ابن جرير: " أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه وذلك في لغة جميع العرب " [4]

وقد جاء عن المفسرين أقوال كثيرة في تفسير الصراط المستقيم، وعباراتهم وإن تعددت فإنها ترجع إلى معنى واحد وهو المتابعة لله ورسوله، وذلك باتباع ما جاء في الكتاب والسنة من العقائد والأحكام والآداب، والتي توصل من تمسك بها إلى تحقيق السعادة والحياة الطيبة في الدنيا

---

(١) سورة هود : آية ١٢٣

(٢) سورة الملك : آية ٢٩

(٣) تفسير ابن كثير (٤٦/١)

(٤) تفسير ابن كثير (٤٩/١)

والآخرة كما قال سبحانه: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]

﴿ **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ** ﴾: وهذه الجملة بدل من الصراط المستقيم وهي من حيث المعنى مفسرة للصراط المستقيم، والذين أنعم الله عليهم هم المذكورون في قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً ﴾ [2]

﴿ **غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ** ﴾: وحرف ﴿ لا ﴾ في قوله ﴿ **وَلا الضَّالِّينَ** ﴾ أتى به لتأكيد معنى النفي المستفاد من كلمة ﴿ **غَيْرِ** ﴾، والمراد بالمغضوب عليهم: اليهود، وبالضالين: النصارى، وقد جاء في ذلك أحاديث وآثار.

فالله سبحانه وتعالى لما بين طريق أهل الهداية والاستقامة الذين علموا الحق وعملوا به وهم الذين أنعم عليهم، ذكر سبحانه أن طريقهم غير طريق المغضوب عليهم وهم الذين فسدت إرادتهم فعلموا الحق وعدلوا عنه، ولا الضالين وهم الذين فقدوا العلم فهم هائمون في الضلالة لا يهتدون إلى الحق، واليهود فقدوا العمل، والنصارى فقدوا العلم، ولقد كان الغضب لليهود والضلال للنصارى، لأن من علم وترك استحق

(١) سورة النحل الآية: ٩٧

(٢) سورة النساء الآية: ٦٩

الغضب بخلاف من لم يعلم ، والنصارى كانوا قاصدين شيئاً لكنـــهم لم يهتدوا إلى طريقه لأنهم لم يأتوا الأمر من بابه وهو اتباع الحق فضلوا.

قال ابن كثير: " وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليـــه، لكن أخص أوصاف اليهود الغضب كما قال تعالى: ﴿ مَنْ لَعَنَـــهُ اللَّـــهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾[1] وأخص أوصاف النصارى الضلال كما قال تعالى: ﴿ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾[2] " [3]

وأختم الكلام عن هذه السورة العظيمة بما ذكره الحافظ ابن القـــيم وهو يتحدث عما جاء في قصة أبي سعيد الخدري رضي الله عنه حين رقى اللـــديغ بفاتحة الكتاب فبرأ .

قال: " ومن المعلوم أن بعض الكلام له خواص ومنافع مجربـــة فمـــا الظن بكلام رب العالمين، الذي فضله على كل كلام كفضل الله علـــى خلقه .... ثم بفاتحة الكتاب التي لم يترل في القرآن، ولا في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور مثلها، المتضمنة لجميع معاني كتـــب الله المشـــتملة على ذكر أصول أسماء الرب – تعالى - ومجامعها .... وإثبـــات المعـــاد وذكر التوحيدين: توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية، وذكر الافتقار إلى الرب سبحانه في طلب الإعانة وطلب الهداية ... ، وذكر أفضل الدعاء علـــى

(١) سورة المائدة آية: ٦٦

(٢) سورة المائدة آية: ٧٧

(٣) تفسير ابن كثير (٥٣/١)

الإطلاق وأنفعه وهو الهداية إلى صراطه المستقيم المتضمن كمال معرفته وتوحيده وعبادته بفعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، والاستقامة عليه إلى الممات، ويتضمن ذكر أصناف الخلائق وانقسامهم إلى منعم عليه بمعرفة الحق والعمل به ... ، ومغضوب عليهم بعدوله عن الحق بعد معرفته له، وضال بعدم معرفته له وهؤلاء أقسام الخليقة، مع تضمنها لإثبات القدر والشرع والأسماء والصفات والمعاد والنبوات، وتزكية النفوس، وإصلاح القلوب، وذكر عدل الله وإحسانه، والرد على جميع أهل البدع والباطل .. وحقيق بسورة هذا بعض شأنها أن يستشفى بها من الأدواء " (١)

وقوله في الحديث: " **أَلا أُعلِّمَك أَعظمَ سورة في القرآن** " يدل على جواز تفضيل بعض القرآن على بعض ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ (٢)

قال الحافظ ابن كثير: " واستدلوا بهذا الحديث وأمثاله على تفاضل بعض الآيات والسور على بعض كما هو المحكي عن كثير من العلماء منهم: إسحاق بن راهويه وأبو بكر بن العربي وابن الحفار من المالكية، وذهبت طائفة أخرى إلى أنه لا تفاضل في ذلك لأن الجميع كلام الله ولئلا يوهم التفضيل نقص المفضل عليه، وإن كان الجميع فاضلاً نقله

---

(١) زاد المعاد (٤/١٧٧) ، وينظر: فتح الباري (١٠/١٩٨)

(٢) فتح الباري (٨/١٥٨) ، الآية في سورة البقرة آية : ١٠٦

القرطبي عن الأشعري وأبي بكر الباقلاني وأبي حاتم البستي ويحيى بن يحيى ورواية عن الإمام مالك أيضاً " (١)

وأجاب من لا يرى التفاضل في القرآن: " بأن معـــنى التفاضـــل أن ثواب بعضه أعظم من ثواب بعض، فالتفضيل إنما هو من حيث المعاني لا من حيث الصفة " (٢)

– وفي الحديث دليل على أن البسملة ليست آية من الفاتحة؛ فإن النبي ﷺ لم يذكرها وقد قال : " **أَلا أُعلِّمَك أَعظمَ سورة في القرآن** " (٣)

❁❁❁❁❁❁

(١) تفسير ابن كثير (٢١/١)

(٢) فتح الباري (١٥٨/٨)

(٣) الموضع السابق .

فضل سورتي البقرة وآل عمران

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيُّ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: " اقْرَأُوا القُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ شَفِيعاً لأصْحَابِهِ ، اقْرَأُوا الزَّهْرَاوَيْنِ البَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرانَ ، فَإِنَّهُمَا تَأتِيانِ يَوْمَ القِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَان أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتانَ ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِما ، اقْرَأُوا سُورةَ البَقَرةِ فَإنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلا تَسْتَطِيعُهَا البَطَلَةُ "

أخرجه مسلم ح (٨٠٤)

شرح الحديث

في هذا الحديث يرغب النبي ﷺ بقراءة القرآن ويخبر أنه يأتي شـــفيعاً لأصحابه يوم القيامة، ثم يرغب ترغيباً خاصاً بقراءة البقرة وآل عمـــران ويصفهما بالزهراوين أي المنيرتان مأخوذ من الزَّهر والزَّهَـــرَة، وذلـــك لهدايتهما قارئهما بما يزهر له من أنوارهما أو لما يترتب على قراءتهما مـــن النور يوم القيامة، ثم يخبر النبيﷺ عن مجيئهما يوم القيامة تحاجـــان عـــن أصحابهما ويضرب لذلك ثلاثة أمثال:

كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَان: والغمام السحاب الملتف، أو **كَأَنَّهُمَــا غَيَايَتَــانَ:** والغياية ما أظل الإنسان قريباً من رأسه، أو **كَأَنَّهُمَا فِرْقَــانِ مِــنْ طَيْــرٍ صَوَافَّ** والفرقان: القطعان [1]

وجاء في حديث النواس بن سمعان ﷺ قال: سمعت النبيﷺ يقول: " يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ، تَقْدُمُــهُ سُــورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ " وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَســيتُهُنَّ بَعْدُ قَالَ: " كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ، أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا ... " [2]

وقوله عليه الصلاة والسلام: " **أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَــرْقٌ** "، أي ضياء ونور وفي هذا بيان أهما ظلتان منيرتان وذلك أنه قد يتوهم أهما مظلمتان، ووصفتا بالسواد ليحصل ويتحقق كمال الاستظلال في ذلــك اليوم العصيب حيث تدنوا الشمس من رؤوس الخلائق .

وقوله: **حِزْقَان:** الحزق: الجماعة وهو بمعنى قولــه: **فِرْقَــانِ مِــنْ طَيْــرٍ صَوَافَّ....**

ووصف القرآن وسورة البقرة وآل عمران بالإتيان يوم القيامة، مــن العلماء من فسر ذلك بإتيان ثواب القراءة .

---

(١) ينظر: إكمال المعلم (١٧٣/٣) ، المفهم (٤٣٠/٢)

(٢) أخرجه مسلم ح (٨٠٥) ، وأحمد ح (١٧٦٧٤)

قال الترمذي: " ومعنى هذا الحديث عند أهل العلم أنه يجيء ثواب قراءته، كذا فسر بعض أهل العلم هذا الحديث، وما يشبه هذا من الأحاديث أنه يجيء ثواب قراءة القرآن ... "(١)

وقوله عليه الصلاة والسلام: " **فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ** " قال معاوية ﷺ: بلغني أن البطلة : السحرة (٢)

قال الحافظ ابن كثير:" ومعنى لا تستطيعها أي لا يمكنهم حفظها، وقيل لا تستطيع النفوذ في قارئها " (٣)

أفاد هذا الحديث بيان فضل سورة البقرة وآل عمران وعظيم مترلتهما، وقد جاءت أحاديث أخرى وآثار في فضل سورة البقرة :

– ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنْ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ "(٤)

– وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ قال : بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْثًا وَهُمْ ذُو عَدَدٍ فَاسْتَقْرَأَهُمْ فَاسْتَقْرَأَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَا مَعَهُ مِنْ الْقُرْآنِ فَأَتَى عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا، فَقَالَ: " مَا مَعَكَ يَا فُلَانُ ؟ " قَالَ: مَعِي كَذَا وَكَذَا وَسُورَةُ الْبَقَرَةِ، قَالَ: " أَمَعَكَ سُورَةُ الْبَقَرَةِ ؟ " فَقَالَ: نَعَمْ

---

(١) جامع الترمذي (١٢/٥)

(٢) مسلم (١ / ٥٥٣)

(٣) تفسير ابن كثير (٦١/١)

(٤) أخرجه مسلم ح (٧٨٠)

، قَالَ: " فَاذْهَبْ فَأَنْتَ أَمِيرُهُمْ " ، فَقَالَ رَجُلٌ – مِنْ أَشْرَافِهِمْ – : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا مَنَعَنِي أَنْ أَتَعَلَّمَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ إِلَّا خَشْيَةَ أَلَّا أَقُومَ بِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَاقْرَءُوهُ، فَإِنَّ مَثَلَ الْقُرْآنِ لِمَنْ تَعَلَّمَهُ فَقَرَأَهُ وَقَامَ بِهِ كَمَثَلِ جِرَابٍ مَحْشُوٍّ مِسْكًا يَفُوحُ رِيحُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَمَثَلُ مَنْ تَعَلَّمَهُ فَيَرْقُدُ وَهُوَ فِي جَوْفِهِ كَمَثَلِ جِرَابٍ وُكِئَ عَلَى مِسْكٍ " ، قال الترمذي: " حديث حسن " (١)

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: " إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامًا، وَإِنَّ سَنَامَ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ " (٢)، وقال أيضاً رضي الله عنه حين أراد أن يرمي جمرة العقبة قال: " هَذَا مَقَامُ الَّذِي أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ " (٣)، وفي هذا تعظيم لشأن هذه السورة ، وتنويه بقدرها ومنزلتها.

وعن أنس رضي الله عنه قال: " كَانَ الرَّجُلُ إِذَا قَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ جَدَّ فِينَا يَعْنِي عَظُمَ ...." (٤)

وروى مالك في الموطأ أن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – تعلم سورة البقرة في ثماني سنين فلما ختمها نحر بدنة " (٥)

---

(١) أخرجه الترمذي ح (٢٨٧٦)

(٢) أخرجه الدارمي في السنن (٤٤٧/٢)

(٣) أخرجه البخاري ح (١٧٤٩) ، مسلم ح (١٢٩٦)

(٤) أخرجه أحمد ح (١٢٢٣٦)

(٥) أخرجه مالك الموطأ (٢٠٥/١) ، وينظر : فضائل ابن ضريس (ص: ١٤٩) ، شرح الزرقاني (١٩/٢) ، وفيه عن ابن عمر قال: " تعلم عمر البقرة في اثنتي عشرة سنة فلما ختمها نحر جزوراً "

وهذه المدة الطويلة التي قضاها ابن عمر – رضي الله عنهما – في تعلم سورة البقرة يقود إلى التأمل في سعة ما اشتملت عليه من الأحكام والفرائض والمعاني، فهي أطول سورة في القرآن، استغرقت جزئين ونصف جزء تقريباً من ثلاثين جزءاً قُسم إليها القرآن الكريم، وتبلغ آياتها ست وثمانين ومائتي آية، وقد ابتدأ نزولها بعد هجرة النبيﷺ إلى المدينة، ونزل معظمها في السنوات الأولى من الهجرة، واستمر نزولها إلى قبيل وفاته ﷺ بفترة قليلة ... وكانت آخر آية من القرآن نزولاً فيها هي قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ (١)

وقد افتتح الله تعالى هذه السورة بذكر كتابه الهادي للمتقين فوصف الله من انتفع بهداياته ومواعظه فكانت عاقبته الفلاح والسعادة، ثم ذكر الله الكافرين والمنافقين الذين أعرضوا عن هدى الله وشريعته فكان عاقبتهم الحرمان والخسران، ثم دعا الله الناس إلى عبادته وحده، وأقام الدلائل على ذلك من فرش الأرض وبناء السماء وإنزال الماء وإخراج الثمار رزقاً للعباد ، ثم قرر الرسالة وتحدى المرتابين في ما أنزل على النبي ﷺ في أن يأتوا بسورة من مثله، وهدد الكافرين بالنار وبشر المؤمنين بالجنة ، ثم وبخ الكافرين على كفرهم مع وضوح دلائل الإيمان في الأنفس والآفاق فقال: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ

(١) سورة البقرة آية : ٢٨١

ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [1]

وعند هذه الإشارة إلى خلق ما في الأرض جميعاً يذكر سبحانه قصة استخلاف آدم في الأرض وما كان من استفسار الملائكة بشأنه: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[2] وفي ثنايا هذه الآيات يذكر الله سبحانه العداوة الخالدة بين آدم والشيطان، ويبين سبحانه المخرج من هذا الابتلاء: ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[3]

ثم توجه الخطاب في الآيات إلى بني إسرائيل، وقد كان يجاور النبيﷺ بالمدينة طائفة كبيرة من اليهود الذين كان أحبارهم يبشرون بمبعث النبي ﷺ وقد استغرق الحديث عن بني إسرائيل أكثر من مائة آية من هذه السورة الكريمة دعاهم الله سبحانه وتعالى إلى الوفاء بعهودهم وإلى الإيمان بنبي الله محمد ﷺ فقال سبحانه: ﴿ يَا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ۝ وَآمِنُوا

(١) سورة البقرة آية : ٢٨- ٢٩

(٢) سورة البقرة آية : ٣٠

(٣) سورة البقرة آية : ٣٨- ٣٩

بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾ (١)

وقد تضمنت الآيات في الحديث عن بني إسرائيل ذكر تاريخهم من أيام موسى عليه السلام، وما أحاطهم الله به من النعم والآلاء وتفضيلهم على عالمي زمانهم، وكيف قابلوا هذه النعم بالجحود والعناد والبطر ونقض العهود والمواثيق، وتخلل هذا الحديث بيان موقف بني إسرائيل من الإسلام ورسوله وكتابه، لقد كانوا أول كافر به وكانوا يلبسون الحق بالباطل، وكانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم، وكانوا يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه، وكانوا يخادعون الذين آمنوا بإظهار الإيمان وإذا خلا بعضهم إلى بعض حذر بعضهم بعضاً من اطلاع المسلمين على ما يعلمونه من أمر النبي وصحة رسالته، وكانوا يريدون أن يردوا المسلمين كفاراً، وكانوا يدعون من أجل هذا أن المهتدين هم اليهود وحدهم كما كان النصارى يدعون هذا أيضاً، وكانوا يعلنون عدائهم لجبريل - عليه السلام- بما أنه هو الذي حمل الوحي إلى محمد دونهم، وكانوا يكرهون كل خير للمسلمين، ويتربصون بهم السوء، وكانوا ينتهزون كل فرصة للتشكيك في ثبوت الوحي ونزوله من عند الله كما فعلوا عند تحويل القبلة .... وهم بهذه المواقف المخزية قد نقضوا العهود والمواثيق ، ونكلوا عن حمل الأمانة ، وتجردوا من شرف الانتساب إلى إبراهيم عليه السلام صاحب الحنيفية

(١) سورة البقرة آية : ٤٠- ٤١

السمحة، وهذا الحديث المستفيض عن بني إسرائيل فيه تبصير للمسلمين بطبيعة أولئك القوم وأخلاقهم المرذولة وتحذير للمؤمنين من سلوك مسلكهم واتباع طريقتهم ، وتذكير للمسلمين أن الصراع معهم مستمر .

وأما بقية السورة الكريمة، فهو حافل ببيان الأحكام الشرعية، والتوجيهات الإلهية والآداب السامية، والهدايات الربانية لبناء هذه الأمة التي اصطفاها الله واختارها، وحملها أمانة الدين وجعلها وارثة للملة الإبراهيمية السمحة، فتحدثت الآيات الكريمة عن أحكام الأطعمة، والقصاص، وأحكام الوصية، والصيام، والجهاد، وأحكام الحج والعمرة، وأحكام الزواج والطلاق والإيلاء والخلع والحلف ، وأحكام الصدقة، والنفقات ، وأحكام الربا والمعاملات والدَّين والتجارة والرهن ، وتخلل ذلك وعظ وتذكير ووعد ووعيد وقصص وأخبار وأمثال ، وبعد هذا الحديث الجامع عن العقائد والشرائع والآداب والأحكام والمعاملات ختمت السورة بذلك الدعاء الخاشع العظيم الذي امتن الله سبحانه بتعليمه لعباده ، وتفضل بقبوله منهم: ﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾[1]

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٨٦

وسورة آل عمران التي حث النبيﷺ على قراءتها، وقرنت مع البقرة في الفضل ووصفتا بالزهراوين، هي سورة مدنية افتتحت بذكر اسم الله الأعظم، ونوه الله سبحانه بنزول القرآن، وذكر ما سبقه من التوراة والإنجيل، وبين سبحانه تقسيم آيات القرآن إلى محكمات ومتشابهات، واختلاف الناس في تلقي آياته، ومدح الله مسلك الراسخين في العلم، وذم مسلك من في قلبه زيغ، وذم الكافرين، وبين مصيرهم المحتوم، وذكر الله سبحانه أنواع الشهوات التي زينت للناس، وبين ما هو خير منها للذين اتقوا ربهم ، ونوه الله بالإسلام وأنه الدين عند الله ودعا الأميين وأهل الكتاب إليه.

وذكر ابن إسحاق بإسناد مرسل أن ثمانين آيات من أول سورة آل عمران نزلت في وفد نجران.[1]

قال ابن كثير: " وكان سبب نزول هذه المباهلة وما قبلها من أول السورة في وفد نجران ... لما قدموا فجعلوا يحاجون في عيسى ويزعمون فيه ما يزعمون من النبوة والإلهية ، فأنزل الله صدر هذه السورة رداً عليهم ....." [2]

(١) فتح الباري (٩٤/٨)

(٢) تفسير ابن كثير (٤٧/٢)

وآية المباهلة هي قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾(١)

وأخرج البخاري عن حذيفة ﷺ قال: " جَاءَ الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ صَاحِبَا نَجْرَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُرِيدَانِ أَنْ يُلَاعِنَاهُ قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لَا تَفْعَلْ فَوَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَاعَنَّا لَا نُفْلِحُ نَحْنُ وَلَا عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا: قَالَا: إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا ... " (٢) الحديث

والنصف الثاني من السورة وهو ما يقرب من ستين آية نزل في أعقاب غزوة أحد، وهو زاخر بالعظات والعبر والتربية للمؤمنين، وفيه بيان سنن الله عز وجل في النصر والهزيمة وبيان أن ما حصل من هزيمة في أحد فبسبب ما حصل من التنازع والعصيان قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ..... ﴾ (٣)

وقال سبحانه : ﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ (٤)

---

(١) سورة آل عمران آية : ٦١

(٢) أخرجه البخاري ح (٤٣٨٠)

(٣) سورة آل عمران آية : ١٥٢

(٤) سورة آل عمران آية : ١٦٥

وقد ختمت السورة بعشر آيات كان الرسول ﷺ يقرأ بهن إذا اســتيقظ لصلاة الليل .

فعن ابن عباس: أَنَّهُ بَاتَ لَيْلَةً عِنْدَ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ - وَهِــيَ خَالَتُهُ - قال: " فَاضْطَجَعْتُ فِي عَرْضِ الْوِسَادَةِ، وَاضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّــهِ ﷺ وَأَهْلُهُ فِي طُولِهَا. فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ، أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ، أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَلَسَ يَمْسَحُ النَّــوْمَ عَــنْ وَجْهِهِ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَرَأَ الْعَشْرَ الْآيَاتِ الْخَوَاتِمَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، ثُمَّ قَــامَ إِلَى شَنٍّ مُعَلَّقَةٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا، فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقُمْتُ فَصَنَعْتُ مِثْلَ مَا صَنَعَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَوَضَــعَ يَــدَهُ الْيُمْنَى عَلَى رَأْسِي، وَأَخَذَ بِأُذُنِي الْيُمْنَى يَفْتِلُهَا، فَصَــلَّى رَكْعَتَــيْنِ، ثُــمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَوْتَرَ، ثُمَّ اضْطَجَعَ حَتَّى أَتَاهُ الْمُؤَذِّنُ، فَقَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجَ، فَصَلَّى الصُّبْحَ " (١)

❁❁❁❁❁❁

(١) أخرجه البخاري ح (١٨٣)، ومسلم ح (٧٦٣)

فضل آية الكرسي

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " يَا أَبَا الْمُنْذِرِ ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ " قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ: " يَا أَبَا الْمُنذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ ؟ قَالَ: قُلْتُ: اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الحيُّ القَيُّومُ . قَالَ : " فَضَرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ: وَاللهِ ! لِيَهْنِكَ العِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ" أخرجه مسلم ح (٨١٠)

شرح الحديث

أفاد الحديث أن آية الكرسي هي أعظم آية في كتاب الله، وقد جاء في فضلها أحاديث منها :

– ما أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: " وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ..... " وذكر الحديث ، وفيه فقال :" إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ ؟ " قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ: " مَا هِيَ ؟ " قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ

أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ ، وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ – – وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ – فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ، وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ؟ " قَالَ: لَا قَالَ: " ذَاكَ شَيْطَانٌ " (١)

– وروى النسائي عن أبي أمامة ﷺ أن النبي ﷺ قال: " من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت"(٢)

وهذه الآية العظيمة تضمنت عشر جمل، وصف الله سبحانه فيها نفسه بما هو أهله .

ففي الجملة الأولى والثانية قال سبحانه: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾

الله : هو المألوه المعبود ، المتفرد بالإلهية لجميع الخلائق .

﴿ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾: أي الحي في نفسه الذي لا يموت أبداً .

(١) أخرجه البخاري ح (٢٣١١)

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٣٠/٦)

قال الطبري: " وصف نفسه بالحياة الدائمة التي لا فناء لها ولا انقطاع، ونفى عنها ما هو حال بكل ذي حياة من خلقه من الفناء وانقطاع الحياة عند مجي أجله " (١)

قال الزجاج: " الحي يفيد دوام الوجود، والله تعالى لم يزل موجوداً، ولا يزال موجوداً " (٢)

القيوم : فيعول من قام يقوم وهو صيغة مبالغة، وكان عمر يقرأ: القيَّام، أي القيام بتدبر خلقه فجميع الموجودات مفتقرة إليه وهو غنى عنها ولا قوام لها بدون أمره كقوله سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ (٣)

والجملة الثالثة قوله سبحانه: ﴿ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ ﴾: أي لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن تدبير أمر خلقه، وهذا من تمام القيومه وكمال الحياة، **والسِنَة:** الفتور الذي يكون في أول النوم مع بقاء الشعور والإدراك، ويقال له: غفوة ووسن ونعاس، وتقديم السنة على النوم يفيد المبالغة في النفي، أي لا تأخذه سنة فضلاً عن أن يأخذه نوم .

وفي صحيح مسلم عن أبي موسى ﷺ قال: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺبِخَمْسِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ: " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ، وَيَرْفَعُهُ يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ

(١) تفسير الطبري (٣/١٦٤)

(٢) النهج الأسمى (٢ / ٤٩٩)

(٣) سورة الروم آية : ٢٥

قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ " وَفِي رِوَايَةٍ: " النَّارُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ " (١)

وفي الجملة الرابعة قال سبحانه: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾: وفي هذه الآية تقرير لملكية الله المطلقة لما في السماوات والأرض، وقدم في الجملة الجار لإفادة الحصر أي ملك السماوات والأرض له وحده ليس لأحد سواه شيء معه، فجميع من في السماوات والأرض عبيده وفي ملكه وتحت قهره وسلطانه كقوله تعالى: ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً ۞ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً ۞ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً ﴾ (٢)

والجملة الخامسة: قال سبحانه: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾: والاستفهام في هذه الآية للنفي والإنكار أي لا يستطيع أحد أن يشفع عنده إلا بإذنه ورضاه، كما قال سبحانه: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾(٣) ، وكقوله: ﴿ وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ (٤)

---

(١) أخرجه مسلم ح (١٧٩)

(٢) سورة مريم الآيات من: ٩٣- ٩٥

(٣) سورة النجم آية: ٢٦

(٤) سورة الأنبياء آية: ٢٨

قال الحافظ ابن كثير: " وهذا من عظمته وجلاله وكبريائه عز وجل، أنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له في الشفاعة"[1]

وأصل الشفاعة: مأخوذ من الشَّفْع، وهو ضم الشيء إلى مثله .

قال الراغب: " والشفاعة الانضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنــه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة، ورتبة إلى من هو أدنى، ومنه الشفاعة في الآخرة " [2]

والجملة السادسة: قال سبحانه: ﴿ يَعْلَمُ مَــا بَــيْنَ أَيْــدِيهِمْ وَمَــا خَلْفَهُمْ﴾: وهذا تأكيد لشمول علمه وإحاطته بجميع خلقه ما بين أيــديهم وما خلفهم ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم .

والجملة السابعة: قال سبحانه: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّــا بِمَا شَاءَ ﴾: فلا يطلع أحد من علم الله على شيء إلا بما أعلم الله عز وجل وأطلعه عليه .

قال الحافظ ابن كثير: " ويحتمل أن يكون المراد لا يطلعون على شيء من علم ذاته وصفاته إلا بما أطلعهم الله عليه كقوله: ﴿ وَلا يُحِيطُونَ بِــهِ عِلْماً﴾ " [3]

---

(١) تفسير ابن كثير (٥٤٨/١)

(٢) المفردات (ص:٢٦٣)

(٣) تفسير ابن كثير (٥٤٩/١)

وفي الجملة الثامنة قال سبحانه: ﴿ وَسِــعَ كُرْسِــيُّهُ السَّــمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: وصف الله الكرسي بأنه وسع السماوات والأرض، وهذا دليل على عظمته وسعته، وقال غير واحد من السلف: الكرسي بــين يــدي العرش كالمرقاة إليه . [1]

وفي الجملة التاسعة والعاشرة: ﴿وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُــوَ الْعَلِــيُّ الْعَظِيمُ﴾: ويؤده: أي يثقله ويشق عليه، يقال: آدني الأمر بمعنى أثقلــني وتحملت منه المشقة أي لا يثقله حفظ السماوات والأرض .

والعلي: المتعالي بذاته وصفاته عن الأشباه والأنداد والنظائر فله سبحانه العلو المطلق من جميع الوجوه: علو الذات، وعلو القدر، والصفات، وعلو القهر .[2]

والعظيم: بذاته وصفاته الذي ليس كمثله شيء .

❋❋❋❋❋❋

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٢ /٣٧١)

(٢) النهج الأسمى (١ / ٣٠٨)

فضل الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " مَنْ قَـرَأَ هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ "

أخرجه البخاري ح (٥٠٠٩) ، ومسلم ح (٨٠٨)

شرح الحديث

أفاد هذا الحديث فضل الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة حيث أخبر النبي ﷺ أن من قرأهما في ليلة كفتاه، وللعلماء في معنى كفتاه أقوال :

١- كفتاه من قيام الليل أو من حزبه إن كان له حزب من القرآن .

٢- وقتاه شرَّ كل ذي شر من شيطان وغيره.

٣- كفتاه لكثرة ما يحصل له بقراءتهما من الثواب والأجر وإجابة الدعاء الذي ذكر فيها. (١)

وقد جاء في حديث ابن عباس – رضي الله عنهما- قال: " بَيْنَمَـا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: هَـذَا بَابٌ مِنْ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ وَقَالَ: أَبْشِـرْ بِنُـورَيْنِ

(١) ينظر: المفهم (٤٣٥/٢) ، فتح الباري (٥٦/٩)

أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ " [1]

وأخرج مسلم أيضاً من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ أن الله تعالى قال: " عقب كل دعوة من الدعوات المذكورة في الآية: قد فعلت " [2] ، ومن حديث أبي هريرة ﷺ وفيه: " قال الله نعم . " [3]

ولا مانع من دخول هذه الأنواع من الكفاية ، وغيرها تحت قوله : " **كفتاه** " فقد أطلق في الحديث و لم يقيد .

والآيتان الأخيرتان من سورة البقرة هما قوله تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

---

(١) أخرجه مسلم ح (٨٠٦)

(٢) أخرجه مسلم ح (١٢٦)

(٣) أخرجه مسلم ح (١٢٥)

وقد أخبر سبحانه في الآية الأولى عن إيمان الرسول ﷺ بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون، ثم أخبر عن الجميع فقال: ﴿ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ فكل فريق من هذين الفريقين آمن إيماناً صادقاً بوجود الله ووحدانيته وكمال صفاته وأسمائه وبوجود الملائكة وأنهم عباد مكرمون ﴿ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [1] وكتبه التي أنزلها الله موعظة وهداية للبشر وإقامة للحجة عليهم، وبرسله الذين أرسلهم سبحانه مبشرين ومنذرين، وهم لا يفرقون بين أحد من رسله فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض بل الجميع عندهم صادقون مهديون هادون إلى سبيل الرشاد، وإن كان بعضهم ينسخ شريعة بعض بإذن الله حتى نسخ الجميع بشرع محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين.

ثم أخبر سبحانه عن خضوعهم وانقيادهم واستسلامهم لربهم فقال: ﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ أي سمعنا قولك يا ربنا وفهمناه وامتثلنا العمل بمقتضاه، ﴿ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ تضرع إلى الله بطلب المغفرة والرحمة، واعتراف بأن المصير والمرجع والمآب إليه سبحانه.

فتضمنت الآية الكريمة الثناء على رسول الله ﷺ وأتباعه المؤمنين الصادقين لإيمانهم الراسخ بأصول الإيمان وأركانه واستجابتهم الصادقة لله سبحانه وتعالى وتضرعهم إليه بطلب المغفرة.

---

(١) سورة التحريم آية : ٦

وأما الآية الثانية وهي قوله تعالى : ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

فقد أخبر الله سبحانه برفع تكليف ما لا يطاق ولا يدخل في الوسع ، وهذا من لطفه تعالى بخلقه ورأفته بهم، وإحسانه إليهم، وهذه الآية هي الناسخة الرافعة لما أشفق منه الصحابة في قوله: ﴿ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَو تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ [(١)] " [(٢)]

﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾: أي من الخير، ﴿ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾: أي من الشر، وجاءت العبارة بـ "لها" في الحسنات لأنها مما ينتفع العبد به، وجاءت بـ "عليها" في السيئات لأنها مما يضر العبد، وإنما قال في الحسنات " كَسَبَتْ " وفي الشر "اكْتَسَبَتْ "، لأن في الاكتساب ضرب من الاعتمال والمعالجة، حسبما تقتضيه صيغة افتعل فالسيئات فاعلها يتكلف مخالفة أمر الله، ويتعداه بخلاف الحسنات ، فإنه فيها على الجادة من غير تكلف، أو لأن السيئات يجدّ في فعلها لميل النفس إليها ، فجعلت لذلك مكتسبة [(٣)]

(١) سورة البقرة آية : ٢٨٤

(٢) تفسير ابن كثير (٦٠٨/١)

(٣) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ١٤٢)

﴿ لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾: وهذا إرشاد من الله لعباده أن يتوجهوا إليه بهذا الدعاء، وقد تكفل لهم بالإجابة كما أرشدهم وعلمهم أن يقولوا .

والنسيان: ذهول القلب، **والخطأ**: فعل الشيء من غير تعمد وقصد

﴿ رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾، **والإصر**: الثقل والشدة..... وهي التكاليف الصعبة الشاقة، وقد كانت على الأمم السابقة كقتل أنفسهم إذا أرادوا أن يتوبوا توبة صادقة، وتحريم بعض الطيبات عليهم بسبب ظلمهم ....

﴿ رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾: أي لا تحملنا ما هو فوق طاقتنا وقدرتنا من التكاليف والمصائب والبلايا والمحن والعقوبات .

﴿ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ﴾ : وهذه دعوات عظيمة تجمع للإنسان خير الدنيا والآخرة.....

والعفو : ترك المؤاخذة بالذنب ، والمغفرة تقتضي مع ذلك الستر ، والرحمة تجمع ذلك مع التفضل بالإنعام [1]

﴿ أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ : أي أنت ولينا وناصرنا فانصرنا على القوم الكافرين حتى تكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى .....

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١٤٣/١)

فضل سورة الكهف

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الكَهْفِ، عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ ... وفي رواية مِنْ آخر الكهف "

أخرجه مسلم ح (٨٠٩)

شرح الحديث

دل الحديث على أن حفظ الآيات العشر من أول سورة الكهف يعصم من فتنة المسيح الدجال .

ويؤيد هذا ما أخرجه مسلم من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه الطويل في ذكر الدجال ، وجاء فيه : " فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ " (١)

وقال بعض العلماء ملتمساً وجه تخصيص هذه الآيات : " قيل لما في قصة أصحاب الكهف من العجب والآيات ، فمن علمها لا يستغرب أمر الدجال ولا يفتن به " (٢)

والظاهر – والله أعلم – أن هذه الآيات أودعها الله سبحانه خصائص تجعلها عصمة لمن حفظها من الدجال

وأرشد النبي ﷺ إلى أمور أخرى تعصم من فتنة المسيح الدجال منها :

(١) أخرجه مسلم ح (٢٩٣٧)

(٢) إكمال المعلم (١٧٧/٣)

١- الاستعاذة من فتنته، فقد ثبت في أحاديث كثيرة الأمر بالاستعاذة من فتنة المسيح الدجال، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسـول الله ﷺ : " إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ " [(١)]

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هَذَا الدُّعَاءَ كَمَا يُعَلِّمُهُمْ السُّورَةَ مِنْ الْقُرْآنِ يَقُولُ: قُولُوا:" اللَّهُمَّ إِنَّـا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِـكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ " [(٢)]

٢- ومن ذلك الابتعاد عنه، ففي حديث عمران بن حصين ﷺ " مَـنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنْ الشُّبُهَاتِ " [(٣)]

٣- ومن ذلك سكنى المدينة ومكة شرفهما الله تعالى، فعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "يَجِيءُ الدَّجَّالُ فَيَطَأُ الْأَرْضَ إِلَّا مَكَّـةَ وَالْمَدِينَـةَ .... " الحديث [(٤)]

(١) أخرجه مسلم ح (٥٨٨)

(٢) أخرجه مسلم ح (٥٩٠)

(٣) أخرجه أحمد ح (١٩٨٨٨) ، وأبو داود ح (٤٣١٩) ، وإسناده صحيح .

(٤) أخرجه أحمد ح (١٣٠٠٩) ، وإسناده صحيح

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " عَلَى أَنْقَابِ الْمَدِينَـــةِ مَلَائِكَةٌ لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ وَلَا الدَّجَّالُ " [١]

❁❁❁❁❁❁

(١) أخرجه مسلم ح (١٣٧٩)

فضل قل هو الله أحد

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ ؟ " قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ ؟ قَالَ : " قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ "

وفي رواية: " إِنَّ اللهَ جَزَّأَ الْقُرْآنَ ثَلاَثَةَ أَجْزَاءٍ، فَجَعَل قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ جُزْءً مِنْ أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ "

أخرجه مسلم ح (٨١١)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " احْشُدُوا فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، فَحَشَدَ مَنْ حَشَدَ . ثُمَّ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَرَأَ:﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ثُمَّ دَخَلَ . فَقَالَ بَعْضُنَا لِبعضٍ: إِنِّي أُرَى هَذَا خَبَرٌ جَاءَه مِنَ السَّمَاءِ ، فَذَاكَ الذِي أَدْخَلَهُ، ثُمَّ خَرَجَ نَّبِيُّ اللهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ : سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، أَلا إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ "

أخرجه مسلم ح (٨١٢)

شرح الحديثين

في هذين الحديثين دليل على فضل ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ وبيان أنها تعدل ثلث القرآن الكريم

قال بعض أهل العلم: "هي ثلث القرآن باعتبار معاني القرآن الكلية، لأنه أحكام، وأخبار، وتوحيد، وقد اشتملت هي على القسم الثالث

فكانت ثلثاً بهذا الاعتبار ويستأنس لهذا بقوله ﷺ" **إِنَّ اللهَ جَزَّأَ القُرْآنَ ثَلاَثَةَ أَجْزَاءٍ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ جُزْءاً مِنْ أَجْزَاءِ القُرْآنِ** " [(١)]

قال القرطبي: " اشتملت هذه السورة على اسمين من أسمائه تعالى يتضمنان جميع أوصاف كماله تعالى، لم يوجدا في غيرها من السور وهما الأحد الصمد لأنهما يدلان على أحادية الذات المقدسة الموصوفة بجميع أوصاف الكمال وبيان ذلك أن **الأحد** يشعر بوجوده الخاص الذي لا يشاركه فيه غيره، **وأما الصمد:** فهو المتضمن لجميع أوصاف الكمال، فإن الصمد هو الذي انتهى سؤدده بحيث يصمد إليه في الحوائج كلها، أي يقصد، ولا يصح ذلك تحقيقاً إلا ممن حاز جميع خصال الكمال حقيقة وذلك لا يكمل إلا لله تعالى فهو الأحد الصمد الذي:

﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ فقد ظهر أن لهذين الاسمين من شمول الدلالة على الله تعالى وصفاته ما ليس لغيرهما من الأسماء، وأنهما ليسا موجودين في شيء من سور القرآن فظهرت خصوصية هذه السورة بأنها ثلث القرآن " [(٢)]

وقال بعض أهل العلم: " إنها تعدل ثلث القرآن باعتبار تحصيل الثواب فإنه يحصل لقارئها مثل ثواب من قرأ ثلث القرآن " [(٣)]، وهذا

(١) فتح الباري (٩/٦١)

(٢) المفهم (٢/٤٤١- ٤٤٢)

(٣) فتح الباري (٩/٦١)

القول فيه نظر ، فهو تقييد بلا دليل ، والحديث أفاد على وجه الإطـــلاق أنها تعدل ثلث القرآن .

وقد ورد في فضل هذه السورة أحاديث أخرى منها:

* حديث عائشة - رضي الله عنها - في الصحيحين أن رسول الله ﷺ : بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بـــ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا ذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّـــهِ ﷺ فَقَـــالَ: " سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ ؟ " فَسَأَلُوهُ فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ " [1]

* وأخرج البخاري من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أَنَّ رَجُلًا قَامَ فِـــي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَقْرَأُ مِنْ السَّحَرِ قُلْ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ لَـــا يَزِيـــدُ عَلَيْهَا، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا أَتَى الرَّجُلُ النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَـــهُ - وَكَـــأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا - ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَـــا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ " [2]

وسوف يأتي أن النبيﷺ كان يستشفي بها مع المعوذتين .

وهذه السورة الكريمة ورد في سبب نزولها ما رواه الإمام أحمد بسنده عن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا مُحَمَّدُ انْسُـــبْ لَنَـــا

(١) أخرجه البخاري ح (٧٣٧٥) ، ومسلم ح (٨١٣)

(٢) أخرجه البخاري ح (٥٠١٣)

رَبَّكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ (١)

وافتتحت هذه السورة بقوله سبحانه: ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ و﴿ **هُوَ** ﴾ ضمير الشأن ويؤتى به للتفخيم وتفسره الجملة التي بعده، **والأحد:** الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله وفي كل شأن من شئونه الذي لا نظير له ولا ند ولا شبيه، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله عز وجل لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله.

والصمد: قال ابن جرير: " الصمد عند العرب هو: السيد الذي يصمد إليه، الذي لا أحد فوقه، وكذلك تسمى أشرافها " (٢)

قال ابن عباس– رضي الله عنهما-: " يعني الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم"، وفي رواية عن ابن عباس: " هو السيد الذي قد كمل في سؤدده . " (٣)

وقوله سبحانه: ﴿ **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ** ﴾ فالله متره عن الولد وعن الوالد، وعن الصاحبة كما قال سبحانه: ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى

---

(١) أخرجه أحمد ح (٢١٢٥٧) من طريق محمد بن مُيسر الصاغاني عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أُبيٍّ بن كعب ، وفي هذا الإسناد محمد بن ميسر ، أبو جعفر الرازي – وهو عيسى بن ماهان – وهما ضعيفان ، وقد رواه الترمذي ح (٣٣٦٥) من طريق أبي جعفر به مرسلاً ، وقال : هذا أصح من حديث محمد بن ميسر .

(٢) تفسير الطبري (٣٠/ ٣٤٧)

(٣) الموضع السابق

يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1] فالله سبحانه مالك كل شيء وخالقه فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه أو قريب يدانيه تعالى وتقدس، فهو سبحانه: ﴿ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[2]

وقوله: ﴿ **وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ** ﴾ **الكفؤ**: هو المكافئ والمماثل والمشابه لغيره أي لم يكن أحد من خلقه مكافئاً ولا مشاكلاً فهو سبحانه كما وصف نفسه: ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع العليم ﴾ [3]

❁❁❁❁❁❁

(١) سورة الأنبياء آية: ١٠١

(٢) سورة الحديد آية: ٣

(٣) سورة الشورى آية: ١١

فضل المعوذتين

عن عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " ألم تر آياتٍ أنزلت الليلة ، لم ير مثلهن قط ؟ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾

وفي رواية قال: قال لي رسول الله ﷺ: " أنزل أو أنزلت عليَّ آيات لم ير مثلهن قط المعوذتين"

أخرجه مسلم ح (٨١٤)

شرح الحديث

تضمن هذا الحديث بيان فضل المعوذتين فقد وصفهما النبيﷺ بقوله:
" لم ير مثلهن قط "

وفي حديث عائشة – رضي الله عنها – عند البخاري أن رسول الله ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا " [(١)]

وفي حديثها الآخر عند البخاري: أن النبي ﷺ كَانَ إِذَا آوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا، فَقَرَأَ فِيهِمَا : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ و ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ** ﴾ و ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ** ﴾ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ

---

(١) أخرجه البخاري ح (٥٠١٦) ، ومسلم ح (٢١٩٢)

مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ " [١] ، وبوب عليه البخاري بقوله: " **باب فضل المعوذات**" [٢]

قال الحافظ: " وذكر سورة الإخلاص معهما تغليباً لما اشتملت عليه من صفة الرب وإن لم يصرح فيها بلفظ التعوذ . "

ثم ذكر حديث عقبة بن عامر ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ ، ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ تعوذ بهن فإنه لم يتعوذ بمثلهن، وفي لفظ: " اقرأ المعوذات دبر كل صلاة " فذكرهن " [٣]

وفي هاتين السورتين الكريمتين علم الله المستعيد كيف يستعيذ بالله سبحانه وتعالى فقال سبحانه: **﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ والفلق**: أصله شق الشيء عن الشيء، والمراد به هنا الصبح وسمي فلقاً لانفلاق الليل وانشقاقه عنه كما قال سبحانه: ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ﴾[٤] أي شاق ظلمة آخر الليل عن بياض الفجر، ويصح أن يكون المراد به كل ما يفلقه الله سبحانه من مخلوقاته كالأرض التي تفلق عن النبات، والجبال التي تنفلق عن عيون الماء .. والمعنى: قل أيها الرسول الكريم أعوذ بالله الذي فلق الليل فانشق عنه الصباح .

---

(١) أخرجه البخاري ح (٥٠١٧)

(٢) فتح الباري (٦٢/٩)

(٣) أخرجه أحمد ح (١٧٨٢٦) وإسناده حسن

(٤) سورة الأنعام آية : ٩٦

﴿ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ أي من شر كل ذي شر من المخلوقات ، لأنه لا عاصم من شرها إلا خالقها سبحانه فهو المالك لها والمتصرف في أمرها ، والآخذ بناصيتها ، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾ [1]

ثم قال سبحانه: **﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ والغاسق**: الليل عندما يشتد ظلامه قال سبحانه: ﴿ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ ﴾[2]، وقوله: **وقب:** الوقوب هو الدخول، يقال: وقبت الشمس إذا غابت وتوارت في الأفق، والمعنى الاستعاذة من الليل إذا دخل واشتد ظلامه وما يكون فيه من النوائب والطوارق .

ثم قال سبحانه: **﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾**، وأصل **النفاثات:** جمع نفاثة وهذا اللفظ صيغة مبالغة من النفث، وهو النفخ مع ريق قليل يخرج من الفم، **والعقد:** جمع عقدة من العَقد الذي هو ضد الحل، وهي اسم لكل ما ربط وأحكم ربطه، **والمراد بالنفاثات في العقد:** النساء السواحر اللاتي يعقدن عقداً في خيوط وينفثن عليها من أجل السحر، وجيء بصيغة التأنيث في اللفظ: " **النفاثات** " لأن معظم السحرة كن من النساء ويصح أن يكون النفاثات صفة للنفوس التي تفعل ذلك فيكون هذا اللفظ شاملاً للذكور والإناث.

---

(١) سورة هود آية : ٥٦

(٢) سورة الإسراء آية : ٧٨

ثم ختم الله سبحانه هذه السورة الكريمة بقوله: ﴿ **وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ** ﴾ **والحاسد:** هو الذي يتمنى زوال النعمة عن غيره فأمر الله نبيه أن يستعيذ من شره وذلك إذا أظهر ما في نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه.

وفي سورة المعوذة الثانية أمر الله المستعيذ بقوله: ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ** ﴾ أي تعوذ ﴿ **بِرَبِّ النَّاسِ** ﴾ أي بمربيهم ومصلح أمورهم، وبمن أسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة .

﴿ **مَلِكِ النَّاسِ** ﴾: أي المالك لأمرهم ملكاً تاماً والمتصرف في شئونهم تصرفاً كاملاً .

﴿ **إِلَهِ النَّاسِ** ﴾: أي الذي يدين له الناس بالعبودية والخضوع والطاعة.

قال الحافظ ابن كثير: " هذه ثلاث صفات من صفات الله عز وجل الربوبية، والملك، والإلهية... فهو رب كل شيء ومليكه وإلهه، فجميع الأشياء مخلوقة له فأمر سبحانه المستعيذ أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات... " [١]

---

(١) تفسير ابن كثير (٧ / ٤٢٢)

﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾: والوسواس: اسم للوسوسة وهي الصوت الخفي . **والخناس:** صيغة مبالغة من الخنوس وهو الرجوع والتأخر، والمراد به الذي يلقى في نفس الإنسان أحاديث السوء .

﴿ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴾: صفة لهذا الوسواس الخناس .

﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾: بيان أن الوسوسة بالسوء تأتي من نوعين من المخلوقات؛ تأتي من شياطين الجن والإنس كما قال سبحانه: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْأِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً ﴾ (١)

قال قتادة: " إن من الجن شياطين، وإن من الإنس شياطين، فتعوذ بالله من شياطين الإنس والجن " (٢)

---

(١) سورة الأنعام الآية : ١١٢

(٢) تفسير الصنعاني (٢ / ٢١٦) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٠ / ٢٦٣)

الباب الثاني : من أحكام القرآن

الفصل الأول: قراءة القرآن في الصلاة أحكام وآداب

قراءة الفاتحة في الصلاة

عَنْ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " لا صَلاَة لِمَـــنْ لَمْ يَقْرَأْ بِأُمِّ الكِتَابِ "

أخرجه البخاري ح (٧٥٦)، ومسلم ح (٣٩٤)

شرح الحديث

دل الحديث على أن قراءة الفاتحة في الصلاة متعينة، وقد ذهـــب إلى هذا جمهور العلماء، ويؤيد ما دل عليه هذا الحديث:

– حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَـــمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ ثَلَاثًا ..... " [(١)] ، **الخِداج**: الـــنقص والفساد [(٢)]

– وحديثه الآخر: قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " قَالَ اللَّهُ تَعَـــالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَـــإِذَا قَـــالَ الْعَبْدُ: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْـــدِي،

(١) أخرجه مسلم ح (٣٩٥)

(٢) التمهيد (٢٠/ ١٩١)، النهاية (٢ / ١٢)، يقال: خدجت الناقة: إذا ألقت ولدها قبل أوانه

وَإِذَا قَالَ: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْـــدِي.. .."الحديث [1]

وذهب أبو حنيفة إلى أن الفاتحة لا تتعين لعموم قوله تعالى: ﴿ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾[2]، ولما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ في قصة المُسيء في صلاته أن النبي ﷺ قال: " ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنْ القرآن.... " [3]

ويجاب عن هذا الاستدلال بأن هذه نصوص عامة، وقد خصصت بما ورد من الأحاديث التي نصت على وجوب قراءة الفاتحة .

قال الحافظ ابن عبد البر: " ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: " لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب، ومن صلى صلاةً لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج غير تمام " . فثبت بهذا النص وجوب قراءتها في كل صلاة لمن قدر عليها، وبطل بهذا قول من قال: إن أم القرآن وغيرها في ذلـــك ســـواء، وقول من قال: يقرأ بعدد آياتها وحروفها من غيرها من القرآن ويجزئـــه، لأن النص عليها والتعين لها قد خصها بهذا الحكم دون غيرها " [4]

واختلف العلماء في حكم قراءتها خلف الإمام على ثلاثة أقوال أعرضـــها على سبيل الإيجاز :

(١) أخرجه مسلم ح (٣٩٥)

(٢) سورة المزمل آية : ٢٠

(٣) أخرجه البخاري ح (٧٥٧) ، ومسلم ح (٣٩٧)

(٤) التمهيد (٢٠ / ١٩٨)

القول الأول : أن المأموم يقرأ مع الإمام فيما أسر فيه، ولا يقرأ فيما جهر فيه .

وهذا قول أكثر السلف، وبه قال مالك وأحمد وإسحاق وأحد قولي الشافعي .

واستدلوا بأدلة :

١- قول الله عز وجل: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [(١)]، ونقل عن الإمام أحمد الإجماع أنها نزلت في الصلاة ....

قال الحافظ ابن عبد البر في قول الله عز وجل: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: مع إجماع أهل العلم أن مراد الله من ذلك في الصلوات المكتوبة أوضح الدلائل على أن المأموم إذا جهر إمامه في الصلاة أنه لا يقرأ معه بشيء، وإنه يستمع وينصت، وفي ذلك دليل على أن قول رسول ﷺ: " لا صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب " مخصوص في هذا الموضوع وهو إذا جهر الإمام بالقراءة ... ، وما عدا هذا الموضوع وحده، فعلى عموم الحديث " [(٢)]

(١) سورة الأعراف آية : ٢٠٤

(٢) التمهيد (١١/٣٠ – ٣١)

٢- حديث أبي موسى الأشعري ﷺ: " إِذَا صَلَّيْتُمْ فَأَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ ثُمَّ لْيَؤُمَّكُمْ أَحَدُكُمْ..." ، وفي رواية : " وَإِذَا قَرَأَ فَأَنْصِتُوا " [١]، ومن حديث أبي هريرة ﷺ : " إنما جعل الإمام ..... وإذا قرأ فأنصتوا " [٢]، وهذه الزيادة انفرد بها من حديث أبي هريرة ﷺ محمد بن عجلان ، عن زيد بن أسلم ، عن أبي صالح عن أبي هريرة ...

ومن حديث أبي موسى سليمان التيمي، عن قتادة، عن أبي غلاب يونس بن جبير، عن حطان الرقاشي، عن أبي موسى الأشعري .....

وقد صححهما الإمام مسلم حيث أخرج حديث أبي موسى ﷺ، وسئل عن حديث أبي هريرة ﷺ فقيل له: " حديث أبي هريرة صحيح ؟ ، يعني: " وإذا قرأ فأنصتوا "، قال: هو عندي صحيح، فقيل له: لم لا تضعه ههنا ؟ يعني في كتابه، فقال: ليس كل شيء عندي صحيح وضعته ههنا، إنما وضعت ههنا ما أجمعوا عليه .... " [٣]

وصححهما الإمام أحمد، قال الأثرم: قلت لأحمد بن حنبل: من يقول عن النبي ﷺ من وجه صحيح إذا قرأ الإمام فأنصتوا ؟، فقال: حديث ابن عجلان الذي يرويه أبو خالد، والحديث الذي رواه جرير عن

---

(١) أخرجه مسلم ح (٤٠٤)

(٢) أخرجه أحمد (٩٤٢٨)

(٣) صحيح مسلم (١ /٣٠٣)

التيمي، وقد زعموا أن المعتمر رواه، قلت: نعم رواه المعتمر، قال فـأي شيء تريد ؟ " (١)

قال الحافظ ابن عبد البر: " فقد صحح أحمد الحديثين جميعاً عن النبي ﷺ حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وحديث أبي موسى رضي الله عنه " (٢)

٣- حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي رواه ابْنِ شِهَابٍ عَنْ ابْنِ أُكَيْمَةَ اللَّيْثِـيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ انْصَرَفَ مِنْ صَلَاةٍ جَهَرَ فِيهَـا بِالْقِرَاءَةِ فَقَالَ: " هَلْ قَرَأَ مَعِي مِنْكُمْ أَحَدٌ آنفًا؟ " فَقَالَ رَجُلٌ: نَعَمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنِّي أَقُولُ مَا لِـي أُنَـازَعُ الْقُرْآنَ " فَانْتَهَى النَّاسُ عَنْ الْقِرَاءَةِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيمَا جَهَرَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْقِرَاءَةِ حِينَ سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ "(٣)

---

(١) التمهيد (١١/٣٤)

(٢) التمهيد (١١/٣٤)

(٣) أخرجه مالك (١/٨٦) ، وأحمد ح (٧٢٦٨) ، وأبو داود ح (٨٢٧) من حـديث الزهري ، عن ابن أكيمة ، عن أبي هريرة ، وابن أكيمة : هو عمارة ، وقيل عمار ، وقيل عمرو ، وقيل عامر ، وثقه ابن معين، وقال الحافظ: ثقة تهـذيب الكمـال ٢١ / ٢٢٨ – ٢٣٠ " ، " التقريب ص: ٣٤٧ " وقال ابن عبد البر في التمهيد ١١/٢٢- ٢٣ : " الدليل على جلالته أنه كان يحدث في مجلس سعيد بن المسيب، وسعيد يصغي إلى حديثه عـن أبي هريرة ، وسعيد أجل أصحاب أبي هريرة ..... ، وإلى حديثه ذهب سعيد بن المسـيب في القراءة خلف الإمام فيما يجهر فيه ، وبه قال ابن شهاب ، وذلك كله دليل واضـح علـى جلالته عندهم وثقته . "

وقوله في الحديث : " فانتهى الناس .... الخ " جاء في بعض الطرق ما يدل على أنه من كلام الزهري . =

قال الحافظ ابن عبد البر: " وفقه هذا الحديث .... ترك القراءة مع الإمام في كل صلاة يجهر فيها الإمام بالقراءة . وفيه دليل واضح على أنه لا يجوز للمأموم فيما جهر فيه إمامه بالقراءة من الصلوات أن يقرأ معه، لا بأم الكتاب، ولا بغيرها، لأن رسول الله ﷺ لم يستثن فيه شيئاً من القرآن . " (١)

القول الثاني: أن المأموم يقرأ الفاتحة خلف الإمام فيما جهر وأسر فيه مطلقا .

وهذا قول الأوزاعي، والليث بن سعد، وهو قول الشافعي بمصر، وعليه أكثر أصحابه .

قال الحافظ ابن عبد البر في تقرير أدلة هذا القول: لأن قول رسول الله ﷺ: " لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب "، عام لا يخصه شيء، لأن

= قال الحافظ في " التلخيص الحبير " ١/ ٢٣١ : وقوله " فانتهى الناس .... " مدرج في الخبر من كلام الزهري ، بينه الخطيب ، واتفق عليه البخاري في التاريخ وأبو داود ويعقوب بن سفيان والذهلي والخطابي، وغيرهم .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية " مجموع الفتاوى ٣١٩/٢٣ " : " وأما قوله : " فانتهى الناس .... " . فهذا إذا كان من كلام الزهري ، فإن الزهري أعلم التابعين في زمنه بسنة رسول الله ﷺ ، وهذه المسألة مما تتوفر الدواعي والهمم على نقل ما كان يفعل فيها خلف النبي ﷺ ، وليس ذلك مما ينفرد به الواحد والاثنان، فجزم الزهري بهذا من أحسن الأدلة على أنهم تركوا القراءة خلفه حال الجهر بعد ما كانوا يفعلونه ، وهذا يؤيد ما تقدم ذكره ، ويوافق قوله : " وإذا قرأ فأنصتوا " و لم يستثن فاتحة ولا غيرها .

(١) التمهيد (١١/ ٢٧)

رسول الله ﷺ لم يخص بقوله ذلك مصلياً من مصل ... ، قالوا: وقــول الله عز وجل: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ﴾ خاص واقــع على ما سوى فاتحة الكتاب، وكذلك قوله: " ما لي أنــازع القــرآن "، وقوله: " وإذا قرأ فأنصتوا "، أراد بعد فاتحة الكتاب " [1]

القول الثالث: أن المأموم لا يقرأ الفاتحة خلف الإمام، وقراءة الإمام قراءة له سواء كانت الصلاة جهرية أو سرية، واستدلوا بعموم قوله سبحانه: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لعلكم ترحمون ﴾ وبحديث جابر: " مَنْ كَانَ لَهُ إِمَامٌ فَقِرَاءَتُهُ لَهُ قِرَاءَةٌ" [2]

فهذه ثلاثة أقوال في المسألة ولعل أرجحها القول الأول وهو وجوب قراءة الفاتحة في حق المأموم في الصلاة السرية دون الجهرية، ويحمل مــا

---

(١) التمهيد (١١ / ٣٨ – ٣٩)

(٢) أخرجه أحمد ح (١٤٦٨٤) قال : حدثنا أسود بن عامر ، أخبرنا حسن بن صالح ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، عن النبي ﷺ ، وهذا إسناد منقطع . حسن بن صالح لم يسمعه من أبي الزبير بينهما جابر بن يزيد الجعفي ، وهو ضعيف .

وأخرجه ابن ماجة ح (٨٥٠) ، والدارقطني (٣٣١/١) ، والبيهقي في القراءة خلــف الإمام (٣٤٤ ، ٣٩٥)، وابن عدي (٥٤٢/٢) من طرق عن الحسن بن صالح ، عــن جابر بن يزيد الجعفي ، عن أبي الزبير ، عن جابر مرفوعاً .

قال ابن عدي : وهذا معروف بجابر الجعفي عن أبي الزبير يرويه عنه الحسن بن صالح ...."

وأخرجه مالك (٨٤/١) ومن طريقه البيهقي (١٦٠/٢) عن وهب بن كيسان ، عن جابر موقوفاً . قال البيهقي : هذا هو الصحيح عن جابر من قوله غير مرفوع .... وقد يشبه أن يكون مذهب جابر في ذلك ترك القراءة خلف الإمام فيما يجهر فيه بــالقراءة دون مــا لا يجهر"

ورد من الأدلة على وجوب قراءة الفاتحة أن ذلك في حق الإمام والمنفرد والمأموم فيما أسر فيه الإمام دون ما جهر به لما ورد من الأدلة المخصصة والله أعلم .

وأما حديث عبادة: " لَعَلَّكُمْ تَقْرَءُونَ خَلْفَ إِمَامِكُمْ ؟ قُلْنَا نَعَمْ هَذًّا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لا تَفْعَلُوا إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فَإِنَّهُ لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِهَا " (١)

فقد قال شيخ الإسلام – رحمه الله -: " وهذا الحديث معلل عند أئمة الحديث بأمور كثيرة؛ ضعفه أحمد وغيره من الأئمة، وبين أن الحديث الصحيح قول النبي ﷺ: " لا صلاة إلا بأم الكتاب " فهذا هو الذي أخرجاه في " الصحيحين " ورواه الزهري، عن محمود بن الربيع، عن عبادة . وأما هذا الحديث فغلط فيه بعض الشاميين، وأصله أن عبادة كان يؤم ببيت المقدس، فقال هذا، فاشتبه عليهم المرفوع بالموقوف على عبادة . " (٢)

❁❁❁❁❁❁

---

(١) أخرجه أبو داود ح (٨٢٢) ، وأحمد ح (٢٢٧٢٣،٢٢٧٩٧،٢٢٧٩٨)

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨٧/٢٣)

القراءة في الصلوات المكتوبة

عَنْ الضَّحَّاك بْنِ عُثمانَ، عن بُكَيْر بن عبد الله الأشج، عَنْ سُلَيمان بن يَسَار عَنْ أَبِي هُرَيْرةِ ﷺ قَالَ: مَا صَلَّيتُ وَراءَ أَحدٍ أَشْبَهَ صلاةً بِرَسُولِ الله ﷺ مِنْ فُلانٍ، قَالَ سُلَيمان: كَانَ يُطيلُ الـرَّكْعتينِ الأُولَيَـيْنِ مَـنْ الظُّهرِ، وَيُخَفِّف الأُخْرَيَيْنِ، وَيُخَفِّف العصرَ، وَيَقْرَأُ فِي المَغرب بِقِصَـارِ المُفَصَّل، وَيَقْرَأُ فِي العِشاءِ بوَسَطِ المُفَصَّل، وَيَقْرَأُ فِي الصُّـبح بِطِـوَالِ المُفَصَّل .

وَفِي رِوَايةِ للنَّسَائِي: " وَيَقْرَأُ فِي العِشاءِ بـ ﴿ والشمس وضحاها ﴾، وأَشبَاهِهَا ، وَيَقْرَأُ فِي الصُّبحِ سُوَرتَينِ طَويلتينِ " [(١)]

وفي رواية للإمام أحمد: قَالَ الضَّحَّاكُ: وَحَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ صَلَاةً بِصَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ هَـذَا

(١) أخرجه أحمد ح (٧٩٧٨) قال : حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك حدثنا الضحاك بن عثمان ، عن بكير بن عبد الله عن سليمان بن يسار . وهذا إسناد حسن
والضحاك هو : الضحاك بن عثمان بن عبد الله بن خالد بن حزام الأسدي : وثقه أحمـد وابن معين وابن المديني وأبو داود ، ينظر " التهذيب " ٤/ ٤٤٧ .
وأخرجه النسائي (٢/ ١٦٧– ١٦٨) من طريق ابن أبي فديك به .

الْفَتَى – يَعْنِي عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ – قَالَ الضَّحَّاكُ فَصَلَّيْتُ خَلْفَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَكَانَ يَصْنَعُ مِثْلَ مَا قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ (١)

وأخرج أبو داود من حديث عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّــهُ قَالَ: مَا مِنْ الْمُفَصَّلِ سُورَةٌ صَغِيرَةٌ وَلَا كَبِيرَةٌ إِلَّا وَقَدْ سَمِعْتُ رَسُــولَ اللَّهِ ﷺ يَؤُمُّ النَّاسَ بِهَا فِي الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ (٢)

شرح الأحاديث

في هذه الأحاديث دليل على إكثار النبي ﷺ من قراءة سور المفصــل في الصلوات الجهريات الثلاث، فإنه كان يقرأ في الصبح بطوال المفصل، وفي المغرب بقصاره، وفي العشاء بأوساطه .

وكتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى أن اقرأ في الصبح بطوال المفصــل، واقرأ في الظهر بأوساط المفصل، واقرأ في المغرب بقصار المفصــل. (٣) ، وفيما حفظ عن النبيﷺ من القراءة في صلاته ما يوافق ما جاء في هــذه

---

(١) أخرجه أحمد ح (٨٣٤٨) ، وقد صرح الضحاك أن الذي حدثه عن أنس هو يحيى بن سعيد الأنصاري أو شريك بن أبي نمر، فقد أخرجه ابن سعد في " الطبقات " عن محمد بن إسماعيل بن أبي فديك ، عن الضحاك بن عثمان ، عن يحيي بن سعيد أو عن شريك بن أبي نمر – لا يدري أيهما حدثه – ، عن أنس بن مالك ، فذكره . قال محمد بن عمر الواقدي : سمعت الضحاك يحدث عن شريك بن أبي نمر ولم يشك فيه .

(٢) أخرجه أبو داود ح (٨١٤) من طريق محمد بن إسحاق يحدث عن عمرو بن شعيب به.

(٣) أخرجه عبد الرزاق ح (٢٦٧٢) عن الثوري ، عن علي بن زيد بن جــدعان ، عــن الحسن وغيره ، وعلقه الترمذي (١ /٣٣٨)، وقال : على هذا العمل عند أهل العلم .

الأحاديث، وفي بعضها ما يخالف ذلك، وهو محمول على أنه أحياناً يقرأ بغير ذلك .

ففي صلاة الصبح:

أخرج مسلم عن جابر بن سمرة ﷺ أن النبي ﷺ كان يقرأ في الفجر بـــ ﴿ ق والقرآن المجيد ﴾، وكان صلاته بعد تخفيفاً .[١]

وأخرج أيضاً عن قبطة بن مالك ﷺ أنه سمع النبيﷺ يقرأ في الفجر ﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴾[٢]، وفيه أيضاً عن عمرو بن حُريث ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقرأ في الفجر ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴾[٣]، وفيه عن أنس ﷺ قال: " مَا صَلَّيْتُ خَلْفَ أَحَدٍ أَوْجَزَ صَلَاةً مِنْ صَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي تَمَامٍ كَانَتْ صَلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُتَقَارِبَةً، وَكَانَتْ صَلَاةُ أَبِي بَكْرٍ مُتَقَارِبَةً فَلَمَّا كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مَدَّ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ..."[٤]

وفي الصحيحين من حديث أبي برزة الأسلمي ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في الفجر ما بين الستين إلى المائة ....[٥]

---

(١) أخرجه مسلم ح (٤٥٨)

(٢) أخرجه مسلم ح (٤٥٧)

(٣) أخرجه مسلم ح (٤٥٦)

(٤) أخرجه مسلم ح (٤٧٣)

(٥) أخرجه البخاري ح (٥٤٧) ، ومسلم ح (٤٦١)

وفي رواية عند البخاري: " وَكَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ أَوْ إِحْدَاهُمَا مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى الْمِائَةِ .... "[1]، وهذا الشك من سيَّار بن سلامة الرواي عن أبي برزة، فعند أحمد في المسند، قال سيار: لا أدري أفي إحدى الركعتين أو كلتيهما . [2]

قال ابن رجب: " والظاهر – والله أعلم – أنه كان يقرأ بالستين إلى المائة في الركعتين كلتيهما، فإنه كان ينصرف حين يعرف الرجل جليسه، ولو كان يقرأ في كل ركعة بمائة آية لم ينصرف حتى يقارب طلوع الشمس . " [3]

ثم ذكر الحافظ ابن رجب حديث أنس ﵁ السابق الذي وصف صلاة النبي ﷺ بأنها متقاربة قال: " فهذا يدل على أن زيادة النبي ﷺ في قراءة صلاة الفجر على سائر الصلوات لم يكن كثيراً جداً، وأن صلاته كلها لم يكن بينها تفاوت كثير في القراءة، وأن هذا هو الغالب على صلاته، وقد يطيل أحياناً ويقصر أحياناً لعارض يعرض له، فيحمل حديث أبي برزة ﵁ على أنه كان يقرأ في الفجر ما بين الستين إلى المائة أحياناً لا غالباً " [4]

---

(١) أخرجه البخاري ح (٧٧١)

(٢) أخرجه أحمد ح (١٩٨٢٤)

(٣) فتح الباري لابن رجب (٤/٤٥٣)

(٤) الموضع السابق (٤/٤٥٤– ٤٥٥)

وروى عقبة بن عامر ﷺ أن النبيﷺ قرأ في الفجر في السفر بالمعوذتين[(١)]

وفي سنن أبي داود أنه ﷺ قرأ في الصبح ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ في الركعتين كلتيهما" [(٢)] ، يعني أعادها في الركعة الثانية، ولعل ذلك كان سفراً .

وقد ذهب كثير من العلماء إلى أن المستحب أن يقرأ في الفجر بطوال المفصل، وهو قول مالك، والثوري، والشافعي، وأحمد، وإسحاق[(٣)]

وأما صلاة العشاء .

ففي الصحيحين عن الْبَرَاءَ ﷺ قَالَ: " سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْعِشَاءِ ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾، فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا، أَوْ قِرَاءَةً مِنْهُ " [(٤)] ، وفي رواية أنه عليه الصلاة والسلام كان في سفر .

وفي حديث جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال لمعاذ ﷺ حين صلى بقومه وأطال القراءة في صلاة العشاء قال له:" اقرأ ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴾ ، ﴿ وَالضُّحَى ﴾ ، ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾ ، و ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ ، ونحو هذا ..." [(٥)]

---

(١) أخرجه النسائي (١٥٨/٢) ، (٢٥٢/٨)

(٢) أخرجه أبو داود ح (٨١٦)

(٣) فتح الباري لابن رجب (٤٥٧/٤)

(٤) أخرجه البخاري ح (٧٥٤٩) ، ومسلم ح (٤٦٤)

(٥) أخرجه مسلم ح (٤٦٥)

وفي رواية للبخاري : أن النبيﷺ أمره أن يقرأ سورتين من وسط المفصل . [1]

وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن المستحب أن يقرأ سورتين من أواسط المفصل وهو قول الشافعي وأحمد .. [2]

وقد رُوي عن عمر رضي الله عنه أنه كتب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن يقرأ في الفجر بوسط المفصل ذكره الترمذي تعليقاً . [3]

وأما المغرب:

فقد دلت الأحاديث السابقة على القراءة فيها بقصار المفصل، وقد ذهب إلى هذا أكثر العلماء حيث استحبوا تقصير الصلاة في المغرب [4]

ويؤيد هذا ما جاء في حديث رَافِعَ بْنَ خَدِيجٍ رضي الله عنه قال: " كُنَّا نُصَلِّي الْمَغْرِبَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَنْصَرِفُ أَحَدُنَا وَإِنَّهُ لَيُبْصِرُ مَوَاقِعَ نَبْلِهِ " [5]

قال القرطبي: " وهذا يدل على تعجيل المغرب، وأنه ﷺ كان لا يطولها " [6]

---

(١) أخرجه البخاري ح (٧٠١)

(٢) فتح الباري لابن رجب (٤/٤٤٨)

(٣) سبق تخريجه .

(٤) فتح الباري لابن رجب (٤/٤٣٠)

(٥) أخرجه البخاري ح (٥٥٩) ، ومسلم ح (٦٣٧)

(٦) المفهم (٢/٢٦٣)

وقد تقدم أن الترمذي أخرج تعليقاً أن عمر كتب إلى أبي موسى الأشعري أن يقرأ في صلاة المغرب بقصار المفصل .

قال الترمذي: " العمل عند أهل العلم على القراءة في المغرب بقصار المفصل " (١)

قال الحافظ ابن رجب: " وهذا يشعر بحكاية الإجماع عليه . " (٢)

وأخرج مالك في الموطأ عن الصُّنَابِحِيِّ قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ فَصَلَّيْتُ وَرَاءَهُ الْمَغْرِبَ فَقَرَأَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ بِأُمِّ الْقُرْآنِ وَسُورَةٍ سُورَةٍ مِنْ قِصَارِ الْمُفَصَّلِ ..." (٣)

وقد ورد أن النبي ﷺ قرأ في المغرب بغير قصار المفصل .

– فعن أم الفضل بنت الحارث – رضي الله عنها – أنها سمعت ابن عباس ﵁ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴾ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ لَقَدْ ذَكَّرْتَنِي بِقِرَاءَتِكَ هَذِهِ السُّورَةَ إِنَّهَا لَآخِرُ مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ بِهَا فِي الْمَغْرِبِ" (٤) ، وفي رواية: ثم ما صلى حتى قبضه الله ...

– وعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ﵁ قال: " سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ بِالطُّورِ فِي الْمَغْرِبِ " (٥)

---

(١) جامع الترمذي (٣٤١/١)

(٢) فتح الباري لابن رجب (٤٣١/٤)

(٣) أخرجه مالك في الموطأ (٧٨/١)

(٤) أخرجه البخاري ح (٧٦٣) ، ومسلم ح (٤٦٢)

(٥) أخرجه مسلم ح (٤٦٣)

– وأخرج البخاري عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ: قَالَ لِي زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ﷺ: " مَا لَكَ تَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِقِصَارٍ وَقَدْ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ بِطُولَى الطُّولَيَيْنِ " [١]

وقد دلت هذه الأحاديث على استحباب تطويل المغرب أحياناً، وقد قال بهذا طائفة من السلف، وهو قول الشافعي، وكذلك نص أحمد أنه لا بأس به ... ، ولكن إن كان ذلك يشق على المأمومين، فإنه يكره أن يشق عليهم .... [٢]

وأما الظهر والعصر :

أخرج مسلم من حديث جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ﷺ قَالَ: " كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ بـ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾، وَفِي الْعَصْرِ نَحْوَ ذَلِكَ، وَفِي الصُّبْحِ أَطْوَلَ مِنْ ذَلِكَ " [٣] ، وفي رواية: " يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ " [٤]

وفيه من حديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ قَالَ: " صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الظُّهْرِ أَوْ الْعَصْرِ فَقَالَ: أَيُّكُمْ قَرَأَ خَلْفِي بـ ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ

(١) أخرجه البخاري ح (٧٦٤) ، قَوْلُهُ : (بِطُولَى الطُّولَيَيْنِ) أَيْ : بِأَطْوَلِ السُّورَتَيْنِ الطَّوِيلَتَيْنِ وهي الأعراف ، والمعنى : أنه كان يقرأ فيها بأطول السورتين الطويلتين وهما الأنعام والأعراف . ينظر : النهاية (٣ / ١٤٤)

(٢) ينظر : فتح الباري لابن رجب (٤ / ٤٣٥)

(٣) أخرجه مسلم ح (٤٥٩)

(٤) أخرجه مسلم ح (٤٦٠)

الْأَعْلَى ﴾ ؟، فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا وَلَمْ أُرِدْ بِهَا إِلَّا الْخَيْرَ قَالَ قَــدْ عَلِمْـــتُ أَنَّ بَعْضَكُمْ خَالَجَنِيهَا " [١]

وخرج النسائي من حديث أنس ﷺ أنه صَلَّى الظُّهْرَ فَلَمَّــا فَــرَغَ قَالَ: إِنِّي صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الظُّهْرَ فَقَرَأَ لَنَا بِهَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ فِـــي الرَّكْعَتَيْنِ: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾، ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِـــيَةِ ﴾ .. " [٢] ، وسبق أن عمر كتب إلى أبي موسى يأمره أن يقـــرأ بـــالظهر بأوساط المفصل .

وفي الصحيحين من حديث أبي قتادة ﷺ قال : " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي بِنَا فَيَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْـــأُولَيَيْنِ بِفَاتِحَـــةِ الْكِتَابِ وَسُورَتَيْنِ وَيُسْمِعُنَا الْآيَةَ أَحْيَانًا، وَكَانَ يُطَوِّلُ الرَّكْعَةَ الْأُولَى مِنْ الظُّهْرِ وَيُقَصِّرُ الثَّانِيَةَ، وَكَذَلِكَ فِي الصُّبْحِ " [٣] ، وفي رواية: " ويقـــرأ في الركعتين الأخريين بفاتحة الكتاب "

وأخرج مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ : " أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الظُّهْرِ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ قَدْرَ ثَلَاثِينَ آيَةً، وَفِي الْأُخْرَيَيْنِ قَدْرَ خَمْسَ عَشْرَةَ آيَةً، أَوْ قَالَ نِصْفَ ذَلِـــكَ، وَفِـــي

(١) أخرجه مسلم ح (٣٩٨)

(٢) أخرجه النسائي (١٦٣/٢)

(٣) أخرجه البخاري ح (٧٥٩) ، ومسلم ح (٤٥١)

الْعَصْرِ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ قَدْرَ قِرَاءَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ آيَةً، وَفِي الْأُخْرَيَيْنِ قَدْرَ نِصْفِ ذَلِكَ " (١)

وعنه: " لَقَدْ كَانَتْ صَلَاةُ الظُّهْرِ تُقَامُ فَيَذْهَبُ الذَّاهِبُ إِلَى الْبَقِيعِ فَيَقْضِي حَاجَتَهُ، ثُمَّ يَتَوَضَّأُ ثُمَّ يَأْتِي، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى مِمَّا يُطَوِّلُهَا " (٢)

وخرج أحمد وابن ماجه عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: " اجْتَمَعَ ثَلَاثُونَ بَدْرِيًّا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: تَعَالَوْا حَتَّى نَقِيسَ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيمَا لَمْ يَجْهَرْ فِيهِ مِنْ الصَّلَاةِ، فَمَا اخْتَلَفَ مِنْهُمْ رَجُلَانِ، فَقَاسُوا قِرَاءَتَهُ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى مِنْ الظُّهْرِ بِقَدْرِ ثَلَاثِينَ آيَةً، وَفِي الرَّكْعَةِ الْأُخْرَى قَدْرَ النِّصْفِ مِنْ ذَلِكَ، وَقَاسُوا ذَلِكَ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قَدْرِ النِّصْفِ مِنْ الرَّكْعَتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ مِنْ الظُّهْرِ "(٣)

قال ابن رجب: " في رواية أحمد وابن ماجه: أن قيامه في الثانية كان على النصف من ذلك، وهذه الرواية توافق أكثر الأحاديث الصحيحة فهي أولى ... "

(١) أخرجه مسلم ح (٤٥٢)

(٢) أخرجه مسلم ح (٤٥٤)

(٣) أخرجه أحمد ح (٢٣١٤٦) وابن ماجة ح (٨٢٨) ، من طريق زيد العمي عن أبي نضرة عن أبي سعيد وزيد العمي هو : زيد بن الحواري: ضعيف (التقريب ص: ١٦٣)

ويؤخذ من حديث أبي سعيد ﵁ استحباب قراءة قدر ثلاثين آية في الركعة الأولى والثانية بنصفها، وقد قال بهذا الثوري وإسحاق والنخعـــي وأحمد .

وظاهر كلام أحمد وفعله يدل على أن المستحب أن يقرأ في الصـــبح والظهر في الركعة الأولى من طوال المفصل، وفي الثانية من وسطه .

ودل الحديث أيضاً أن القراءة في العصر على النصف من القـــراءة في الظهر ... وقد نص على ذلـــك أحمـــد واحـــتج بحـــديث أبي ســـعيد الخدري.... [١]



(١) ينظر: فتح الباري لابن رجب (٤/٤١٨-٤١٩)

القراءة في ركعتي الفجر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَة ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَرَأَ فِي رَكْعَتَي الفَجْرِ ﴿ قُلْ يَـــا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ و ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ أخرجه مسلم ح (٧٢٦)

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقَرَأُ فِي رَكْعَتَي الفَجْرِ فِي الأولَى مِنْهُمَا : ﴿ قُولُوا آمَنَّا باللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآية التي فِي البَقَرَةِ ، وَفِي الآخِرةِ مِنْهُمَا ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ، وَفِي رِوايةٍ : ﴿ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ أخرجه مسلم ح (٧٢٧)

شرح الحديثين

- في هذين الحديثين دليل على استحباب القراءة في ركعتي الفجر بما جاء فيهما، وكان من هدي النبي ﷺ تخفيف ركعتي الفجر .

فعن حفصة - رضي الله عنها - قالت: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ لَا يُصَلِّي إِلَّا رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ " (١)

وعن عائشة - رضي الله عنها - أنها كانت تقول: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي رَكْعَتَيْ الْفَجْرِ فَيُخَفِّفُ حَتَّى إِنِّي أَقُولُ: هَلْ قَرَأَ فِيهِمَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ ؟ " (٢)

---

(١) أخرجه مسلم ح (٧٢٣)

(٢) أخرجه مسلم ح (٧٢٤)

- دل حديث ابن عباس - رضي الله عنهما- على جواز القـــراءة من أوساط السور وأنه غير مكروه ، وقد ذهب أكثر العلماء إلى أنـــه لا يكره قراءة أوائل السور وأوساطها وخواتيمها .

وأخرج مسلم عن عبد الله ابن السائب قال : صَلَّى لَنَا النَّبِـــيُّ ﷺ الصُّبْحَ بِمَكَّةَ، فَاسْتَفْتَحَ سُورَةَ الْمُؤْمِنِينَ، حَتَّى جَاءَ ذِكْرُ مُوسَى وَهَارُونَ، أَخَذَتْ النَّبِيَّ ﷺ سَعْلَةٌ فَرَكَعَ " [١]

وهذا الحديث يُستدل به على جواز قراءة أول السورة في ركعـــة، وقراءة السورة في ركعتين إلا أنه ليس فيه تصريح بأنه أتمها في الركعـــة الثانية .

وفي حديث زيد بن ثابت ﷺ: " أن النبي ﷺ قـــرأ الأعـــراف في الركعتين " [٢]

وأخرج عبد الرزاق عن أبي بكر الصديق ﷺ أنـــه أَمَّ الصـــحابة في صلاة الصبح بسورة البقرة فقرأها في الركعتين . [٣]

وأما القراءة بخواتيم السور فعند الخلال أن ابن مسعود ﷺ كان يقرأ في الآخرة من صلاة الصبح آخر آل عمران، وآخر الفرقان ...

وبوب البخاري بقوله: القراءة بالخواتيم [٤]

---

(١) أخرجه مسلم ح (٤٥٥)

(٢) أخرجه النسائي ح (٩٩١)

(٣) أخرجه عبد الرزاق ح (٢٧١٣)

(٤) فتح الباري (٢/٢٥٥)

قال الحافظ: " وأما القراءة بالخواتيم فيؤخذ بالإلحاق من القــراءة بالأوائل والجامع بينهما أن كلاً منهما بعض سورة ...." [(١)]

وأخرج ابن أبي شيبة من طريق أبي رافع قال: " كان عمر يقرأ في الصبح بمائة من البقرة ويتبعها بسورة من المثاني " [(٢)]

وهذا الأثر عن عمر ﷺ يحتمل أن تكون قراءته من البقرة من آخرها فيتم ما ترجم عليه البخاري بقول: " القراءة بالخواتيم " حيث ذكر هذا الأثر بعد الترجمة، وهو يدل على جواز قراءة سورة، وبعض أخــرى في ركعتين .

ومثله ما أخرجه عبد الرزاق ووكيع عن عبد الرحمن بن يزيد قال: " أمنا عبد الله في العشاء، فقرأ الأنفال، فلما بلغ رأس الأربعــين ﴿ نِعْــمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ ركع، ثم قــام فقــرأ في الثانيــة بســورة مــن المفصل.."[(٣)]

ونُقل عن الإمام أحمد أنه كره القراءة مــن أوســاط الســور دون خواتيمها، وفي رواية أخرى: كراهة القراءة من أواخر السور .

قال ابن رجب: " كذا حكاها طائفة من أصحابنا عن أحمد ومنــهم من حملها على كراهة المداومة على ذلك دون فعله أحياناً، لأن أصحاب

---

(١) الموضع السابق

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٥٥/١)

(٣) أخرجه عبد الرزاق ح (٢٧٠١)

النبي ﷺ كان الغالب عليهم قراءة السورة التامة، فيكـــره مخالفتـــهم في أفعالهم " [١]

وقال في الشرح الكبير: " المشهور عن أحمد أنه لا تكره قراءة أواخر السور وأوساطها في الصلاة، نقلها عنه جماعة ... " [٢]

وعن أحمد قال: إنه يكره في الفرض نقلها عنه المرُّوذي، قال: سورة أعجب إلي، قال المروذي: وكان لأبي عبد الله قرابة يصلي به، فكان يقرأ في الثانية من الفجر بآخر السورة، فلما أكثر، قال أبو عبد الله: تقدم أنت فصل ، فقلت له: هذا يصلي بكم منذ كم ؟ قال: دعنا منه يجيء بـــأخر السور وكرهه .

قال ابن قدامة: " ولعل أحمد، إنما أحب اتباع النبي ﷺ فيما نقل عنه، وكره المداومة على خلاف ذلك، فإن المنقول عن النبي قراءة الســـورة أو بعض السورة من أولها " [٣]

❁❁❁❁❁❁

(١) فتح الباري لابن رجب (٤/٤٦٥)

(٢) الشرح الكبير(٣/٦٢٠)

(٣) المغني (٢/١٦٧)

القراءة في قيام الليل

عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَـافْتَتَحَ البَقَـرَةَ فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عَنْدَ المِائَةِ ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُـمَّ افْتَـتَحَ آلَ عِمْـرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقرَأُ مُتَرَسِّلاً، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُـؤَالٍ سَأَلَ، إِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ: " سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيمِ "، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْواً مِنْ قِيَامِهِ ثُمَّ قَالَ:" سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ "، ثُـمَّ قَامَ طَوِيلاً قَرِيباً مَّمِا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ ، فَقَالَ: " سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى "، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيباً مِنْ قِيامِهِ . أخرجه مسلم ح (٧٧٢)

شرح الحديث

في هذا الحديث مسائل وفوائد منها :

- تضمن الحديث وصف قراءة النبي ﷺ حيث وصف حذيفة ﷺ قراءة النبي ﷺ بقوله: **يَقَرَأُ مُتَرَسِّلاً:** والترسل مأخوذ من الرِّسل: وهـو الانبعاث على التؤدة، ويقال: ناقة رسلة سهلة السير وإبل مراسيل منبعثة انبعاثاً سهلاً، ومنه قولهم: على رسلك إذا أمرته بالرفق والتمهل، ومعنى مترسلاً: أي مترفقاً متمهلاً .. [١]

(١) ينظر: المفهم (٢/٤٠٥) ، المفردات (ص: ١٩٥)

وأخرج البخاري عن قتادة ﷺ قال: سألت أنس بن مالك ﷺ عن قراءة النبي ﷺ فقال: كان يمد مداً [1]

وعن أم سلمة - رضي الله عنها - أنها سئلت عن قراءة النبي ﷺ فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً [2]

وعن حفصة - رضي الله عنها - قالت: " كَانَ رَسُول الله ﷺ يَقْرَأُ بِالسُّورَةِ فَيُرَتِّلُهَا حَتَّى تَكُونَ أَطْوَلَ مِنْ أَطْوَلَ مِنْهَا " [3]

وهذا الترسل في قراءة النبي ﷺ استجابة لأمر ربه بقوله: ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً... ﴾ [4]

قال الراغب: " الرَّتل اتِّساق الشيء وانتظامه على استقامة، يقال: رجل رتل الأسنان، والترتيل: إرسال الكلمة من الفم بسهولة واستقامة" [5]

- دل الحديث على جواز قراءة أكثر من سورة في الركعة الواحدة حيث قرأ النبي ﷺ سورة البقرة والنساء وآل عمران في ركعة واحدة، وهذا لا خلاف في جوازه في النافلة، وسيأتي مزيد بيان عند شرح حديث ابن مسعود: إني لأعرف النظائر .....

---

(١) أخرجه البخاري ح (٥٠٤٥)

(٢) أخرجه النسائي ح (١٠٢٢)

(٣) أخرجه مسلم ح (٧٣٣)

(٤) سورة المزمل آية : ٣

(٥) المفردات (ص:١٨٧)

- يُؤخذ من الحديث أن القاريء إذا مرت به آية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ، وهذا جائز في النافلة، وفي رواية عن الإمام أحمد أنه يستحب، وأما الفريضة فمختلف فيه، ففي رواية عن الإمام أحمد إباحة ذلك كالنافلة لأنه دعاء وخير، وعنه الكراهية، لأنه إنما نقل عن النبي ﷺ في النافلة، فينبغي الاقتصار عليه....[1]

- أفاد الحديث جواز قراءة القرآن على غير ترتيب المصحف حيث قرأ النبي ﷺ سورة النساء قبل آل عمران .

وأخرج ابن أبي شيبة بسنده أن الأحنف قرأ الكهف في الأولى، وفي الثانية بيوسف أو يونس، وذكر أنه صلى مع عمر الصبح بهما [2] ، وعلقه البخاري [3]

وأكثر العلماء على أن ذلك غير مكروه، وعن أحمد أنه يكره تعمد ذلك لمخالفته ترتيب المصحف .

قال ابن رجب: " ترتيب سور المصحف على هذا الترتيب ليس توقيفياً على الصحيح، بل هو أمر اجتهد فيه عثمان مع الصحابة، وقد سأل ابن عباس عثمان فقال: مَا حَمَلَكُمْ أَنْ عَمَدْتُمْ إِلَى بَرَاءَةَ وَهِيَ مِنْ

---

(١) الشرح الكبير (٣/٦٦٢)

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١/٣٥٥)

(٣) البخاري مع الفتح (٢/٢٥٥)

الْمِئِينَ وَإِلَى الْأَنْفَالِ وَهِيَ مِنْ الْمَثَانِي فَجَعَلْتُمُوهُمَا فِي السَّبْعِ الطِّوَالِ وَلَمْ تَكْتُبُوا بَيْنَهُمَا سَطْرَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ؟ الحديث وفيه قَالَ عُثْمَانُ ﷺ: " كَانَتْ قِصَّتُهَا شَبِيهَةً بِقِصَّتِهَا فَظَنَنْتُ أَنَّهَا مِنْهَا فَمِنْ هُنَاكَ وَضَعْتُهَا فِي السَّبْعِ الطِّوَالِ وَلَمْ أَكْتُبْ بَيْنَهُمَا سَطْرَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . [1]

قال ابن قدامة : " والمستحب أن يقرأ في الركعة الثانية بسورة بعد السورة التي قرأها في الركعة الأولى في النظم، لأن ذلك المنقول عن رسول الله ﷺ وقد رُوي عن ابن مسعود أنه سئل عمن يقرأ القرآن منكوساً، قال: ذلك منكوس القلب، وفسره أبو عبيد بأن يقرأ سورة ثم يقرأ بعدها أخرى، هي قبلها في النظم، فإن قرأ بخلاف ذلك فلا بأس به، قال أحمد لما سئل عن ذلك: لا بأس به، أليس يُعلم الصبي على هذا ؟ وقال في رواية مُهنا : أعجب إلي أن يقرأ من البقرة إلى أسفل " [2]

❁❁❁❁❁❁

(١) فتح الباري لابن رجب (٤٦٦/٤)، والحديث أخرجه أحمد ح (٣٦٦)، وأبو داود ح (٧٨٦)، والترمذي ح (٣٠٨٦) وقال: هذا حديث حسن .

(٢) المغني (١٦٩/١)، وأثر ابن مسعود أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث (١٠٣/٤)

النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرأ بهن

عَنْ أَبِي وَائِل أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِعَبْدِ الله ابْنِ مَسْعُودٍ: قَرَأْتُ الْمُفَصَّلَ البَارِحةَ كُلَّهُ، قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ الله: هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ ؟ إِنَّا لَقَدْ سَمِعْنَا القَــرَائِنَ، وَإِنِّي لأَحْفَظُ القَرَائْنَ التي كَانَ يَقْرَؤُهُنَّ رَسُولُ الله ﷺ: ثَمَانِيَة عَشَرَ مِنَ الْمُفَصَّلِ، وَسُورَتَيْنِ مِنْ آلِ حم .

وَفِي رِوَايةٍ: قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي بَجيلَةَ، يُقَالُ لَهُ: نَهيكُ بْنُ سِنَانٍ إِلى عَبْدِ الله فَقَالَ: إِنِّي أَقْرَأُ الْمُفَصَّلَ فِي رَكْعَةٍ، فَقَالَ عَبْدُ الله: هَــذًّ كَهَــذِّ الشِّعْرِ ؟ لَقَدْ عَلِمْتُ النَّظَائِرَ التي كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقْرَأُ بِهِنَّ، سُورَتَيْنِ فِي رَكْعَةٍ، وفي رواية أخرى: هِي عَشْرُونَ .

أخرجه البخاري ح (٧٧٥) ، ومسلم (٨٢٢)

شرح الحديث

في هذا الحديث مسائل وفوائد منها :-

السور التي أجمل ذكرها في هذا الحديث جاء تعينــها في روايــات أخرى، وقد سبق في رواية مسلم: ثمانية عشر من المفصل، وسورتين مــن آل حم .

وفي رواية لأبي داود من طريق أبي إسحاق عن الأسود وعلقمة عن عبد الله:﴿ الرحمن ﴾ و ﴿ النجم ﴾ في ركعة، و ﴿اقتربت﴾ و﴿ الحاقــة ﴾ في ركعة، و﴿ الطور﴾ و﴿ الذاريات﴾ في ركعة، و﴿ إذا وقعت الواقعة

﴾ و﴿ ن ﴾ في ركعة، و﴿ سأل سائل ﴾ و﴿ النازعات ﴾ في ركعة، و﴿ يل للمطففين﴾ و﴿ عبس ﴾ في ركعة، و﴿ المدثر ﴾ و ﴿المزمل ﴾ في ركعة، و﴿ هل أتى ﴾ و﴿ لا أقسم بيوم القيامة﴾ في ركعة، و﴿ عم يتسألون ﴾ و﴿ المرسلات ﴾ في ركعة، و﴿ الدخان ﴾ و﴿ إذا الشمس كورت ﴾ في ركعة قال أبو داود هذا تأليف من ابن مسعود[١]

وليس في هذه الرواية من آل حم سوى سورة الدخان، وهذا يخالف رواية مسلم المتقدمة: وسورتين من آل حم ...

قال الحافظ ابن حجر بعد ذكر الروايات في تعيين السور: " وعرف بهذا أن قوله في رواية: وسورتين من آل حم ...مشكل لأن الروايات لم تختلف أنه ليس في العشرين من الحواميم غير الدخان فيحمل على التغليب، أو فيه حذف كأنه قال: وسورتين إحداهما من آل حم ....
ثم ذكر أن ما ورد في رواية البخاري: عشرون من المفصل، أن فيه تجوزاً لأن الدخان ليست من المفصل ..." [٢]

والنظائر: أي السور المتماثلة في المعاني كالموعظة أو الحكم أو القصص ، لا المتماثلة في عدد الآي... [٣]

(١) أخرجه أبو داود ح (١٣٩٦)

(٢) فتح الباري (٢/٢٥٩)

(٣) فتح الباري (٢/٢٥٩)

والمفصل: سمي المفصل مفصلاً لكثرة الفصول بـــين ســـوره، وأول المفصل على المشهور من أقوال العلماء سورة ﴿ ق ﴾، وقد جاء هـــذا في حديث أوس بن أبي أوس [1]

قول ابن مسعود: " هَذًّا كَهَذِّ الشعر ؟ "، الهذ: متابعـــة القـــراءة في سرعة، ويؤخذ من إنكار ابن مسعود كراهية السرعة المفرطة في الـــتلاوة .... لأنه ينافي التدبر والتفكر في معاني القرآن .

قال الحافظ: " ولا خلاف في جواز السرد بدون تدبر لكن القراءة بالتدبر أعظم أجراً . "

وفيه جواز تطويل الركعة الأخيرة على ما قبلها .

ودل الحديث على جواز الجمع بين السور في الركعة ، وهذا ثبت من فعله ﷺ في صلاة التطوع .....

وقد روى عبد الله بن شقيق قال: " سألت عائشة رضي الله عنها : هل كان رسول الله ﷺ يقرن بين السور ؟، قالت: من المفصل" [2]

قال ابن رجب: " الظاهر أن حديث ابن مسعود وعائشة إنما هـــو في صلاة الليل ..." [3]

---

(١) سبق تخريجه (ص : ٥٦) ، وينظر: تفسير ابن كثير (٤ / ٢٢١)

(٢) أخرجه أبو داود ح (١٢٩٢)

(٣) فتح الباري لابن رجب (٤/٤٧٤)

ويحمل ما جاء في حديث عائشة – رضي الله عنها – أنه ﷺ كـــان يقرن بين السور في المفصل على الغالب، وما جاء في حديث حذيفة أنـــه جمع بين البقرة وغيرها من الطوال على النادر[1]

في هذا الحديث ما يقوي القول بأن تأليف السور كان عن اجتـــهاد من الصحابة .

وفيه أيضاً موافقة لما جاء عن عائشة وابن عباس أن صـــلاته بالليـــل كانت عشر ركعات غير الوتر .

❁❁❁❁❁❁

(١) ينظر: فتح الباري (٢/٢٦٠)

الأقرأ أحق بالإمامة

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " إِذَا كَانُوا ثَلاَثَةً فَلْيَؤُمَّهُمْ أَحَدُهُمْ وَأَحَقُّهُمْ بِالإِمَامَةِ أَقْرَؤُهُمْ "

أخرجه مسلم ح (٦٧٢)

شرح الحديث

دل الحديث على أن الأقرأ أحق بالإمامة، ويؤيد هذا الحديث أحاديث أخرى جاءت بمعناه منها:

- حديث أبي مسعود البدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: " يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ .... " (١)
- وأخرج البخاري من حديث عمرو بن سلمة الجرمي ﷺ ، عن أبيه عن النبي ﷺ قال: " إِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْثَرُكُمْ قُرْآنًا ..." (٢)
- وأخرج البخاري أيضاً من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: لما قدم المهاجرون الأولون قبل مقدم النبي ﷺ كان يؤمهم سالم مولى أبي حذيفة ، وكان أكثرهم قرآناً .. (٣)

---

(١) أخرجه مسلم ح (٦٧٣)

(٢) أخرجه البخاري ح (٤٣٠٢)

(٣) أخرجه البخاري ح (٦٩٢)

وهذه الأحاديث تدل على تقديم الأقرأ، وفُسَر الأقرأ بأنه الأكثر قرآناً، وقد ذهب إلى هذا أحمد وإسحاق والثوري وأصحاب الرأي ....

وذهب بعض أهل العلم كمالك والشافعي والأوزاعي إلى تقديم الأفقه، وذلك أن النبي ﷺ قدم أبابكر رضي الله عنه للإمامة، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: " أقرأ أمتي لكتاب الله أبي بن كعب."[1]

وأخرج البخاري بسنده عن عمر رضي الله عنه أنه قال: " أُبَيٌّ أَقْرَؤُنَا " [2]

ووجه مالك والشافعي الأحاديث الواردة بتقديم الأقرأ أن النبي ﷺ إنما خاطب أصحابه، وكان أكثرهم قرآناً أكثرهم فقهاً، فإن قراءتهم كانت علماً وعملاً بخلاف من بعدهم .

وأجيب عن هذا بوجهين :

أحدهما : أن هذا خطاب عام للأمة كلهم، فلا يختص بالصحابة .

والثاني: أنه فرق بين الأقرأ والأعلم بالسنة، وقدم الأقرأ عليه....

وأجاب الإمام أحمد عن تقديم النبي ﷺ أبا بكر على أبي بن كعب وغيره بأنه أراد بذلك التنبيه على خلافته، فلهذا المعنى قدمه في الصلاة على الناس كلهم..... [3]

(١) أخرجه الإمام أحمد ح (١٢٩٢٧) ، والترمذي ح (٣٧٩١) ، وقد روي عن أبي قلابة مرسلاً من غير ذكر أنس " أخرجه عبد الرزاق ح (٢٠٣٨٧) "، قال ابن رجب : وهو أصح عند كثير من الحفاظ ينظر : فتح الباري لابن رجب (٤ / ١١٨)

(٢) أخرجه البخاري ح (٥٠٠٥)

(٣) فتح الباري لابن رجب (٤/١٢٠)

وإذا كانت السنة دلت على تقديم الأقرأ فإنما يكون تقديمه إذا كان يعرف ما تحتاج إليه الصلاة من الفقه وقد نص على هذا الإمام أحمد .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: " وإنما يكون ترجيح بعض الأئمة على بعض إذا استووا في المعرفة بإقامة الصلاة على الوجه المشروع، وفعلها على السنة وفي دين الإمام الذي يخرج به المأموم عن نقص الصلاة خلفه ، فإذا استويا في كمال الصلاة ... قدم الأقرأ ثم الأعلم بالسنة "[1]

وقال الحافظ ابن حجر: " ولا يخفى أن محل تقديم الأقرأ حيث يكون عالماً بما يلزم معرفته من أحوال الصلاة، أما إذا كان جاهلاً فلا يقدم " [2]

❁❁❁❁❁❁

(١) مجموع الفتاوى (٢٣/٢٤٤)

(٢) فتح الباري (٢/١٧١)

أمر الأئمة بالتخفيف

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: " إِذَا أَمَّ أَحَدُكُمُ النَّاسَ فَلْيُخَفِّفْ ، فَإِنَّ فِيهِمُ الصَّغِيرَ وَالكَبِيرَ وَالضَّعِيفَ وَالمَرِيضَ ، فَإِذَا صَلَّى وَحْدَهُ فَلْيُصَلِّ كَيْفَ شَاءَ "

أخرجه مسلم ح (٤٦٧)

شرح الحديث

في هذا الحديث أمر النبي ﷺ الأئمة بتخفيف الصلاة، ويدخل في ذلك تخفيف القراءة، وقد عُلِّل هذا الأمر بأن الإمام يصلي معه من يحتاج إلى مراعاة، ولا يحتمل التطويل مثل الصغير والكبير والضعيف وذي الحاجة.

وقد جاء بمعنى هذا الحديث أحاديث أخرى منها:

– حديث أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فُلَانٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا. فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ غَضِبَ فِي مَوْعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ مِمَّا غَضِبَ يَوْمَئِذٍ، فَقَالَ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ فَأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيُوجِزْ؛ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الْكَبِيرَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ " [(١)]

(١) أخرجه البخاري ح (٧٠٤) ، ومسلم ح (٤٦٦)

– وعن عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيُّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَـالَ لَـهُ: " أُمَّ قَوْمَكَ، فَمَنْ أَمَّ قَوْمًا فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمْ الْكَبِيرَ وَإِنَّ فِيهِمْ الْمَرِيضَ وَإِنَّ فِيهِمْ الضَّعِيفَ وَإِنَّ فِيهِمْ ذَا الْحَاجَةِ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ وَحْدَهُ فَلْيُصَلِّ كَيْفَ شَاءَ " (١)

– وعن جَابِرٍ ﷺ قَالَ: كَانَ مُعَاذٌ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ يَأْتِي فَيَؤُمُّ قَوْمَهُ فَصَلَّى لَيْلَةً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الْعِشَاءَ، ثُمَّ أَتَى قَوْمَهُ فَأَمَّهُمْ فَـافْتَتَحَ بِسُـورَةِ الْبَقَرَةِ فَانْحَرَفَ رَجُلٌ فَسَلَّمَ، ثُمَّ صَلَّى وَحْدَهُ وَانْصَرَفَ، فَقَـالُوا لَـهُ: أَنَافَقْتَ يَا فُلَانُ ؟، قَالَ: لَا وَاللَّهِ، وَلَآتِيَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَلَأُخْبِرَنَّهُ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّا أَصْحَابُ نَوَاضِحَ نَعْمَلُ بِالنَّهَارِ، وَإِنَّ مُعَاذًا صَلَّى مَعَكَ الْعِشَاءَ ثُمَّ أَتَى افْتَتَحَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى مُعَاذٍ فَقَالَ: " يَا مُعَاذُ أَفَتَّانٌ أَنْتَ اقْرَأْ بِكَذَا وَاقْرَأْ بِكَذَا " ، قَالَ سُفْيَانُ فَقُلْتُ لِعَمْرٍو: إِنَّ أَبَا الزُّبَيْرِ حَدَّثَنَا عَنْ جَابِرٍ أَنَّهُ قَالَ:" اقْرَأْ ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴾ ، ﴿ والضُّحَى ﴾ ، ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَـى ﴾، ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ونحو هذا" (٢)

والأمر بتخفيف الصلاة لا يتعارض مع ما كان يفعله الـنبي ﷺ في صلاته وقد تقدم ذكر بعض ما كان يقرأ به النبي ﷺ في صلاته، ولكـن النبي ﷺ كان يراعي أحوال المأمومين ولذلك كان يدخل في الصلاة يريد

(١) أخرجه مسلم ح (٤٦٨)

(٢) أخرجه مسلم ح (٤٦٥)

إطالتها فيسمع بكاء الصبي فيتجوز مخافة أن يشق على أمه [1]، وكان من هديه تخفيف الصلاة في السفر .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " والأفضل للإمام أن يتحرى صلاة رسول الله ﷺ التي كان يصليها بأصحابه بل هذا هو المشروع ..... وإذا كان المأمومون لم يعتادوا لصلاته وربما نفروا عنها درجهم إليها شيئاً بعد شيء فلا يبدؤهم بما ينفرهم عنها، بل يتبع السنة بحسب الإمكان ، وليس للإمام أن يطيل على القدر المشروع إلا أن يختاروا ذلك .. فينبغي للإمام أن يفعل في الغالب ما كان رسول الله ﷺ يفعله في الغالب، وإذا اقتضت المصلحة أن يطيل أكثر من ذلك أو يقصر عن ذلك فعل ذلك ، كما كان النبي ﷺ أحياناً يزيد على ذلك، وأحياناً ينقص عن ذلك......" [2]

وقال في موضع آخر: " وفعله الذي سنه لأمته هو من التخفيف الذي أمر به الأئمة ، إذ التخفيف من الأمور الإضافية ، فالمرجع في مقداره إلى السنة .... " [3]

❁❁❁❁❁❁

(١) أخرجه البخاري ح (٧٠٧)

(٢) مجموع الفتاوى (٣١٧/٢٢)

(٣) الموضع السابق (٢٢/ ٥٧٥)

النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – قَالَ: كَشَــفَ رَسُــولُ اللهِ ﷺ السِّتَارَةَ، وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ ﷺ فَقَالَ: " أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّه لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ أَلا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعاً أَوْ سَاجِداً، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ ... " أخرجه مسلم ح (٤٧٩)

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: نَهَانِي رَسُــولُ اللَّــهِ ﷺ عَــنْ الْقِرَاءَةِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَلَا أَقُولُ نَهَاكُمْ " أخرجه مسلم ح (٤٨٠)

شرح الحديثين

دل هذان الحديثان على النهي عن القراءة في الركوع والســجود ، فالركوع موضع تعظيم لله بالتسبيح والتقديس، والسجود موضع دعــاء وتضرع .

قال ابن رشد: " اتفق الجمهور على منع قراءة القرآن في الركــوع والسجود لحديث علي ﷺ، قال الطبري: وهو حديث صحيح ، وبــه أخذ فقهاء الأمصار " (١)

(١) بداية المجتهد (١/١١٨)

وفي قول علي ﵁: " **وَلَا أَقُولُ نَهَاكُمْ** "، قال القرطبي: " لا يدل على خصوصيته بهذا الحكم، وإنما أخبر بكيفية توجه صيغة النهي الـــذي سمعه ، فكأن صيغة النهي التي سمع: " لا تقرأ القرآن في الركوع " فحافظ حالة التبليغ على كيفية ما سمع حالة التحمل . وهذا مـــن بـــاب نقـــل الحديث بلفظه كما سمع .. " (١)

وذكر ابن القيم عن شيخ الإسلام أنه قال في نهيه ﷺ عـــن قـــراءة القرآن في الركوع والسجود : " إن القرآن هو أشرف الكلام ، وهـــو كلام الله ، وحالتا الركوع والسجود حالتا ذل وانخفاض من العبد فمن الأدب مع كلام الله أن لا يقرأ في هاتين الحالتين ويكون حـــال القيـــام والانتصاب أولى به " (٢)

❁❁❁❁❁❁

(١) المفهم (٨٧/٢)

(٢) مدارج السالكين (٣٨٦/٢)

القراءة في صلاة الجمعة والعيدين

عَنْ ابْنِ أَبِي رَافِعٍ ؛ قَالَ: اسْتَخْلَفَ مَرْوَانُ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ عَلَى الْمَدِينَةِ ، وَخَرَجَ إِلى مَكَّةَ ، فَصَلَّى لَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ الْجُمُعَةَ، فَقَرَأَ بَعْدَ سُورَةِ الْجُمُعَةِ فِي الرَّكْعَةِ الآخِرَةِ: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ قَالَ: فَأَدْرَكْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ حِيْنَ انْصَرَفَ فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّكَ قَرَأْتَ بِسُورَتَيْنِ كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ يَقْرَأُ بِهِمَا بالكُوفَةِ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقْرَأُ بِهِمَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ .

وَفِي رِوَايَة: فَقَرَأَ بِسُورَةِ الْجُمُعَةِ، فِي السَّجْدَةِ الأولَى، وَفِي الآخِرَةِ : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ..﴾ أخرجه مسلم ح (٨٧٧)

وَعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْرَأُ، فِي العِيدَيْنِ وَفِي الْجُمُعَةِ بـ ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ و ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾

قَالَ: وَإِذَا اجْتَمَعَ العِيدُ وَالْجُمُعَةُ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ يَقْرَأُ بِهِمَا أَيْضاً فِي الصَّلاتَيْنِ " أخرجه مسلم ح (٨٧٨)

شرح الحديثين

دل هذان الحديثان على استحباب أن يقرأ الإمام في صلاة الجمعة في الركعة الأولى بسورة ﴿ الأعلى ﴾ وفي الركعة الثانية بسورة ﴿ الغاشية ﴾ وأحيانا بسورة ﴿ الجمعة ﴾ في الركعة الأولى وفي الثانية

بسورة ﴿المنافقين﴾، وكذلك قراءة سورة﴿ الأعلى ﴾ و﴿ الغاشية ﴾ في العيدين

وأخرج مسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه سَأَلَ أَبَا وَاقِدٍ اللَّيْثِيَّ مَا كَانَ يَقْرَأُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْأَضْحَى وَالْفِطْرِ ؟ فَقَالَ: كَانَ يَقْرَأُ فِيهِمَا بِـ ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ ، و﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ " (١)

فدل هذا الحديث على مشروعية قراءة هاتين السورتين أيضاً في صلاة العيدين أحياناً

قال الحافظ ابن القيم: " كانت قراءته ﷺ في المجامع الكبار ، كالأعياد ونحوها بالسور المشتملة على التوحيد والمبدأ والمعاد وقصص الأنبياء مع أممهم، وما عامل الله به من كذبهم وكفر بهم من الهلاك والشقاء ، ومن آمن منهم وصدقهم من النجاة والعافية .... "

ثم تحدث عن مناسبة تخصيص سورة ﴿ الجمعة ﴾ وسورة ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ فقال: " وتارة يقرأ في الجمعة بسورة ﴿ الجمعة ﴾ لما تضمنت من الأمر بهذه الصلاة وإيجاب السعي إليها، وترك العمل العائق عنها ، والأمر بإكثار ذكر الله ليحصل لهم الفلاح في الدارين .. ويقرأ في الثانية بسورة ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ تحذيراً للأمة من النفاق المردي، وتحذيراً أن تشغلهم أموالهم وأولادهم عن صلاة الجمعة، وعن ذكر الله وأنهم إن فعلوا ذلك خسروا ولابد، وحضاً لهم على الإنفاق الذي هو من

---

(١) أخرجه مسلم ح (٨٩١)

أكبر سعادتهم ، وتحذيراً لهم من هجوم الموت وهم على حالة يطلبـــون الإقالة ، ويتمنون الرجعة ، ولا يجابون إليها ...." [1]

❀❀❀❀❀❀

(١) زاد المعاد (١/٤٢٣)

قراءة القرآن في خطبة الجمعة

عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أُخْتٍ لِعَمْرَةَ قَالَتْ: " أَخَــذْتُ ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ مِنْ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَهُوَ يَقْرَأُ بِهَـــا عَلَى المِنْبَرِ، فِي كُلِّ جُمُعَةٍ "

أخرجه مسلم ح (٨٧٢)

شرح الحديث

في هذا الحديث دليل على مشروعية قراءة القرآن في خطبة الجمعة ولا سيما سورة ﴿ ق ﴾ وذلك لما تضمنته من المواعظ البليغة، والتذكير المؤثر ، وذكر مشاهد القيامة وأحوالها .

قال الحافظ ابن كثير: " كان رسول الله ﷺ يقرأ بهذه الســـورة في المجامع الكبار كالعيد، والجمع لاشتمالها على ابتداء الخلـــق، والبعـــث والنشور، والمعاد والقيامة، والحساب، والجنة والنار، والثواب والعقاب، والترغيب والترهيب " (١)

وقد دلت أحاديث أخرى على حرص النبي ﷺ على قراءة القرآن في خطبة الجمعة وأن هذا كان من هديه في تـــذكير النـــاس ووعظهـــم وارشادهم وتبليغهم كلام ربهم سبحانه وتعالى، وتقريره لأصول الإيمان: من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه، وذكر الجنة والنار ومـــا

---

(١) تفسير ابن كثير (٣٩٤/٦)

أعد الله لأوليائه وأهل طاعته، وما أعد لأعدائه وأهل معصـــيته، فـــيملأ القلوب من خطبته إيمانا وتوحيداً ومعرفةً بالله وأيامه [(١)]

ففي الصحيحين من حديث صفوان بن يعلى ﷺ عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ يقرأ على المنبر: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ.. ﴾ [(٢)]

وفي صحيح مسلم من حديث جابر بن سمرة ﷺ قال: " كانـــت للنبي ﷺ خطبتان، يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس " [(٣)]

وروى أبو داود من حديث جابر بن سمرة أيضاً قال: " كَانَتْ صَلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَصْدًا وَخُطْبَتُهُ قَصْدًا يَقْرَأُ آيَاتٍ مِـــنْ الْقُـــرْآنِ وَيُـــذَكِّرُ النَّاسَ" [(٤)]

وعن أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ تَبَارَكَ وَهُوَ قَائِمٌ فَذَكَّرَنَا بِأَيَّامِ اللَّهِ .... " [(٥)]

وفي صحيح البخاري أن عمر ﷺ قَرَأَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَـــى الْمِنْبَـــرِ بِسُورَةِ النَّحْلِ، حَتَّى إِذَا جَاءَ السَّجْدَةَ نَزَلَ فَسَجَدَ وَسَجَدَ النَّاسُ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ الْجُمُعَةُ الْقَابِلَةُ قَرَأَ بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءَ السَّجْدَةَ قَالَ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ

(١) ينظر: زاد المعاد (١/٤٢٥)

(٢) أخرجه البخاري ح (٣٢٣٠) ، ومسلم ح (٨٧١)

(٣) أخرجه مسلم ح (٨٦٢)

(٤) أخرجه أبو داود ح (١٠٩٤)

(٥) أخرجه ابن ماجه ح (١١٠١)

إِنَّا نَمُرُّ بِالسُّجُودِ، فَمَنْ سَجَدَ فَقَدْ أَصَابَ وَمَنْ لَمْ يَسْجُدْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ " وَلَمْ يَسْجُدْ عُمَرُ رضي الله عنه [(١)]

وقد اختلف العلماء في حكم القراءة في خطبة الجمعة .

قال الحافظ ابن رجب: " الأكثرون على وجوبها في الخطبة وهو المشهور عن أحمد ، وحكي عنه رواية أنها مستحبة غير واجبة ..... ، ولأصحابنا وجه في القراءة أنها تجب في إحدى الخطبتين"[(٢)]

وقال في الشرح الكبير: " ولا يكفي في القراءة أقل من آية ، هكذا ذكره الأصحاب ... " [(٣)]

❁❁❁❁❁❁

(١) أخرجه البخاري ح (١٠٧٧)

(٢) فتح الباري لابن رجب (٥/٤٩١- ٤٩٢)

(٣) الشرح الكبير (٥/٢٢٦)

القراءة في صبح يوم الجمعة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي الفَجْرِ ، يَوْمَ الجُمُعَةِ ﴿ الم تَنْزِيلُ .... ﴾ السجدة ، و ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً ﴾

أخرجه البخاري ح (٨٩١) ، ومسلم ح (٨٨٠)

شرح الحديث

دل هذا الحديث على استحباب قراءة هاتين السورتين في صلاة الصبح من يوم الجمعة

قال الحافظ ابن القيم: " سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: " إنما كان النبيﷺ يقرأ هاتين السورتين في فجر الجمعة ، لأنهما تضمنتا ما كان ويكون في يومهما ، فإنهما اشتملتا على خلق آدم ، وعلى ذكر المعاد ، وحشر العباد ، وذلك يكون يوم الجمعة، وكان في قراءتهما في هذا اليوم تذكير للأمة بما كان فيه ويكون .... " [١]

وقد ذهب أكثر العلماء إلى استحباب المداومة على قراءتهما في صبح الجمعة ، وقال بعض العلماء لا يستحب المداومة على ذلك وهو قول الثوري وأحمد في المشهور عنه وإسحاق ، وعللوا ذلك بأنه يخشى من

---

(١) زاد المعاد (٣٧٥/١)

المداومة عليه اعتقاد الجهال وجوبه ، وأن صلاة الفجر يوم الجمعة فيهـــا زيادة سجدة .

قال الحافظ ابن رجب: " وكان السلف يداومون .... ، واعتقـــاد فرضية ذلك بعيد جداً فلا يترك لأجله السنة الصحيحة، واتبـــاع عمـــل الصحابة، وكان كثير من السلف يرى أن السجدة مقصودة قراءتهـــا في فجر يوم الجمعة ..... " [(١)]

❁❁❁❁❁❁

(١) فتح الباري لابن رجب (٥/٣٨٤)

الفصل الثاني : أحكام عامة

أخذ الأجرة على تعليم القرآن

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مَرُّوا بِمَاءٍ فِيهِمْ لَدِيغٌ أَوْ سَلِيمٌ فَعَرَضَ لَهُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَاءِ، فَقَالَ هَلْ فِيكُمْ مِنْ رَاقٍ ؟ إِنَّ فِي الْمَاءِ رَجُلًا لَدِيغًا أَوْ سَلِيمًا، فَانْطَلَقَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَرَأَ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ عَلَى شَاءٍ فَبَرَأَ، فَجَاءَ بِالشَّاءِ إِلَى أَصْحَابِهِ فَكَرِهُوا ذَلِكَ وَقَالُوا: أَخَذْتَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ أَجْرًا، حَتَّى قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخَذَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ أَجْرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللَّهِ "

أخرجه البخاري ح (٥٧٣٧)

شرح الحديث

يؤخذ من هذا الحديث دليل على جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن ، وهو وإن كان سببه الرقية فلفظه عام، ويؤيد هذا الحديث ما جاء في حديث سهل في قصة المرأة الواهبة نفسها أن النبي ﷺ قال للرجل الذي رغب في نكاحها: " اذْهَبْ فَقَدْ مُلِّكْتَهَا بِمَا مَعَكَ مِنْ الْقُرْآنِ " (١) فجعل عليه الصلاة والسلام تعليم القرآن عوضاً في باب النكاح وقام مقام المهر .

وللعلماء في هذه المسألة ثلاثة أقوال :

---

(١) أخرجه البخاري ح (٥١٤٩) ، ومسلم ح (١٤٢٥)

القول الأول: الجواز، وهو قول جمهور العلماء منهم مالك والشافعي وأحمد في رواية .

القول الثاني: الجواز إذا لم يشترط، وهو قول الحسن البصري والشعبي وابن سيرين، وقد علق البخاري عن الشعبي أنه قال: " لا يشترط المعلم، إلا أن يعطى شيئاً فيقبله "[(١)]

القول الثالث: المنع من أخذ الأجرة على تعليم القرآن، وهو قول الزهري وعطاء وأبي حنيفة .

قال الحافظ: " وَخَالَفَ الْحَنَفِيَّة فَمَنَعُوهُ فِي التَّعْلِيم وَأَجَازُوهُ فِي الرُّقَى كَالدَّوَاءِ ، قَالُوا لِأَنَّ تَعْلِيمَ الْقُرْآن عِبَادَة وَالْأَجْر فِيهِ عَلَى اللَّه، وَهُوَ الْقِيَاس فِي الرُّقَى إِلَّا أَنَّهُمْ أَجَازُوهُ فِيهَا لِهَذَا الْخَبَر "[(٢)]

واستدلوا بما ورد من الوعيد على أخذ الأجرة على تعليم القرآن مثل حديث عبادة قال: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُشْغَلُ فَإِذَا قَدِمَ رَجُلٌ مُهَاجِرٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دَفَعَهُ إِلَى رَجُلٍ مِنَّا يُعَلِّمُهُ الْقُرْآنَ فَدَفَعَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا، وَكَانَ مَعِي فِي الْبَيْتِ أُعَشِّيهِ عَشَاءَ أَهْلِ الْبَيْتِ فَكُنْتُ أُقْرِئُهُ الْقُرْآنَ فَانْصَرَفَ انْصِرَافَةً إِلَى أَهْلِهِ، فَرَأَى أَنَّ عَلَيْهِ حَقًّا، فَأَهْدَى إِلَيَّ قَوْسًا لَمْ أَرَ أَجْوَدَ مِنْهَا عُودًا وَلَا أَحْسَنَ مِنْهَا عِطْفًا، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

---

(١) البخاري مع الفتح (٤٥٢/٤)

(٢) فتح الباري (٤٥٣/٤)

فَقُلْتُ: مَا تَرَى يَا رَسُولَ اللَّهِ فِيهَا ؟ قَالَ: " جَمْرَةٌ بَيْنَ كَتِفَيْكَ تَقَلَّدْتَهَا أَوْ تَعَلَّقْتَهَا " (١)

وهذا الحديث فيه ضعف، ويمكن الجواب عنه بأن يقال: إن عبادة كان تبرع بتعليمه ثم أهدى إليه على سبيل العوض فلم يجز له الأخذ.....

قال الحافظ: " الْأَحَادِيث لَيْسَ فِيهَا تَصْرِيح بِالْمَنْعِ عَلَى الْإِطْلَاق بَلْ هِيَ وَقَائِع أَحْوَال مُحْتَمَلَة لِلتَّأْوِيلِ لِتَوَافُقِ الْأَحَادِيث الصَّحِيحَة ... " (٢)

---

(١) أخرجه أحمد ح (٢٢٨١٨) ، أبو داود ح (٣٤١٠) ، الحاكم (٣/ ٣٥٦) ، البيهقي (٦/ ١٢٥) من طريق بشر بن عبد الله بن يسار ، قال حدثني عبادة بن نسي ، عن جنادة بن أبي أمية

وفي هذا الإسناد بشر بن عبد الله بن يسار ليس فيه غير توثيق ابن حبان ، وقال عنه الحافظ : صدوق ، وقد خولف في إسناد الحديث ، فرواه المغيرة بن زياد عن عبادة بن نسي ، عن الأسود بن ثعلبة ، عن عبادة ، ومن هذا الطريق أخرجه أحمد ح (٢٢٧٤١) ، وأبو داود ح (٣٤٠٩) ، وابن ماجه ح (٢١٥٧)، والحاكم (٤١/٢)، والبيهقي (١٢٥/٦)

قال البيهقي - بعد أن أشار إلى الاختلاف على عبادة بن نسي - : " هذا حديث مختلف فيه على عبادة بن نسي كما ترى ، وحديث ابن عباس ، وأبي سعيد أصح إسناداً منه " ثم أشار إلى تضعيف ما ورد له من شواهد .

(٢) فتح الباري (٤٥٣/٤)

وينظر : التبيان (ص: ٢٩- ٣٠) ، المجموع (١٥ /٢٦٢) ، الشرح الكبير (٣٧٩/١٤) ، فتح الباري (٤٥٣/٤) ، المغني (١٣٦/٨) ، نيل الأوطار (٥/ ٢٨٧) ، سنن القراء (ص: ٥٧)

وإذا تقرر جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن، وهو قول جمهـــور العلماء، فإن الأفضل أن يكون تعليمه بغير أجرة، وهو الذي كان عليـــه سلف الأمة . [1]

ويحسن في هذا المقام إيضاح الفرق بين أخذ الأجرة علـــى تعلـــيم القرآن وبين ما يفعله بعض الناس من استئجار القراء ، وإهداء ثواب ذلك للميت .

قال في الإنصاف: " لا يصح الاستئجار على القراءة، وإهداؤها إلى الميت؛ لأنه لم ينقل عن أحدٍ من الأئمة الإذن في ذلك . وقد قال العلماء: إن القارئ إذا قرأ لأجل المال، فلا ثواب له . فـــأي شـــيءٍ يهـــدى إلى الميت؟، وإنما يصل إلى الميت العمل الصالح، والاستئجار على مجرد التلاوة لم يقل به أحد من الأئمة ، وإنما تنازعوا في الاستئجار على التعلم"[2]

❁❁❁❁❁❁

(١) مجموع الفتاوى (٢٠٤/٣٠)

(٢) الإنصاف (٣٧٩/١٤)

النهي أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو

عَنْ ابْنِ عُمَرَ – رَضي الله عَنهما – قَالَ : نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُسَافَرَ بِالقُرْآنِ إلى أَرْضِ العَدُوِّ .

وفي رواية لمسلم : " لا تُسَافِرُوا بِالقُرْآنِ فَإِنِّي لا آمَنُ أَنْ يَنَالَهُ العَدُوُّ . " قَالَ أَيُّوبُ : فَقَدْ نَالَهُ العَدُوُّ وَخَاصَمُوكُمْ بِهِ .

أخرجه البخاري ح (٢٩٩٠) ، ومسلم ح (١٨٦٩)

شرح الحديث

في هذا الحديث النهي عن السفر بالقرآن إلى أرض العدو، وقد علل هذا النهي بالخوف من أن يناله العدو فيتمكنوا من الاستهانة به .

وقد ذهب بعض العلماء إلى النهي عن السفر بالمصحف إلى أرض العدو مطلقاً ، وهو قول مالك وبعض الشافعية .

وذهب بعض أهل العلم إلى جواز السفر بالمصحف إلى أرض العدو إذا أمنت العلة، وهي انتهاك العدو لحرمة المصحف، وهو قول أبي حنيفة، والبخاري، وغيرهما .

وعلى هذا القول فيجوز حمل المصحف إلى بلادهم للبلاغ، وإقامة الحجة عليهم ولتعلمه وتعليمه ودراسته عند الحاجة إذا كان للمسلمين قوة أو سلطان أو ما يقوم مقامهما من العهود والمواثيق ، ونحو ذلك مما يكفل

حفظه ويرجى معه التمكن من الانتفاع به في البلاغ والحفظ والدراسة .... لحصول المصلحة مع انتفاء المفسدة التي خشيها النبي ﷺ [١]

قال الحافظ: " وَاستُدِلَّ بِالحديثِ عَلَى مَنْع بَيْع الْمُصْحَف مِنْ الْكَافِر لِوُجُودِ الْمَعْنَى الْمَذْكُور فِيهِ، وَهُوَ التَّمَكُّن مِنْ الِاسْتِهَانَة بِهِ، وَلَا خِلَاف فِي تَحْرِيم ذَلِكَ، وَإِنَّمَا وَقَعَ الِاخْتِلَاف هَلْ يَصِحّ لَوْ وَقَعَ وَيُؤْمَر بِإِزَالَةِ مِلْكه عَنْهُ أَمْ لَا ؟ " [٢]

وقال أيضاً: " وَاستُدِلَّ بِهِ عَلَى مَنْع تَعَلُّم الْكَافِر الْقُرْآن: فَمَنَعَ مَالِك مُطْلَقًا ، وَأَجَازَ الْحَنَفِيَّة مُطْلَقًا، وَعَنْ الشَّافِعِيّ قَوْلَانِ ، وَفَصَّلَ بَعْض الْمَالِكِيَّة بَيْن الْقَلِيل لِأَجْلِ مَصْلَحَة قِيَام الْحُجَّة عَلَيْهِمْ فَأَجَازَهُ، وَبَيْن الْكَثِير فَمَنَعَهُ . وَيُؤَيِّدهُ قِصَّة هِرَقْل حَيْثُ كَتَبَ إِلَيْهِ النَّبِيّ ﷺ بَعْض الْآيَات " [٣]

وهذا القول الأخير هو الظاهر

وقد جاء في الشروط العمرية على أهل الذمة: " ولا نعلم أولادنا القرآن "

قال الحافظ ابن القيم: " صيانة للقرآن أن يحفظه من ليس من أهله ولا يؤمن به، بل هو كافر به ، فهذا ليس أهلاً أن يحفظه ولا يمكن منه، وقد نهى النبي أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن تناله أيديهم؛

---

(١) ينظر : التمهيد (١٥/ ٢٥٣ – ٢٥٤) ، فتح الباري (١٣٣/٦- ١٣٤) ، فتاوى اللجنة الدائمة (٤٣/٤)

(٢) فتح الباري (١٣٤/٦)

(٣) فتح الباري (١٣٤/٦)

فلهذا ينبغي أن يصان عن تلقينهم إياه، فإن طلب أحد منهم أن يســـمعه منهم فإن له أن يسمعه إياه إقامةً للحجة عليهم ، ولعله أن يسلم . " [1]

❁❁❁❁❁❁

(١) أحكام أهل الذمة (٧٧٥/٢)

لا يمس القرآن إلا طاهر

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ حَزْمٍ أَنَّ فِي الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَمْرِو بْنِ حَزْمٍ: " أَنْ لَا يَمَسَّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ " (١)

شرح الحديث

دل هذا الحديث على أن المصحف لا يمسه إلا طاهر، وهو المتوضئ، وهذا قول جمهور العلماء منهم مالك والشافعي وأبي حنيفة ، وأحمد (٢) ، ويؤيد ما دل عليه هذا الحديث قوله تعالى: ﴿ لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾(٣) والآية وإن لم تكن صريحة الدلالة لوجود الخلاف في المراد بالمطهرين، هل هم الملائكة أم المتطهرون من الحدث ، إلا أن فيها إشارة وتنبيه .

---

(١) أخرجه مالك (١٩٩/١) ، وأبو داود في المراسيل ح (٩٢) ، والدارقطني (١٢١/١) وما جاء في هذا الحديث هو من جملة ما ورد في كتاب عمرو بن حزم ، وهو كتاب مشهور تلقي بالقبول.

قال الحافظ ابن عبد البر " التمهيد (٣٣٨/١٧ – ٣٣٩) " : " وهو كتاب – يعني كتاب عمرو بن حزم – مشهور عند أهل السير ، معروف ما فيه عند أهل العلم معرفة تستغني بشهرتها عن الإسناد ، لأنه أشبه التواتر في مجيئه ، لتلقي الناس له بالقبول والمعرفة .... وقال:كتاب عمرو بن حزم معروف عند العلماء ، وما فيه فمتفق عليه إلا قليلاً ، وبالله التوفيق

(٢) التمهيد (٥٦/٥) ، الشرح الكبير (٧٢/٢)

(٣) سورة الواقعة آية : ٧٩

قال الحافظ ابن القيم: " وسمعت شيخ الإسلام يقرر الاستدلال بالآية على أن المصحف لا يمسه المحدث بوجه آخر، فقال هذا من باب التنبيه والإشارة، إذا كانت الصحف التي في السماء لا يمسها إلا المطهرون ، فكذلك الصحف التي بأيدينا من القرآن لا ينبغي أن يمسها إلا طاهر "[1]

وهنا مسائل يحسن الإشارة إليها :-

١- يجوز لمن كان على غير طهارة أن يحمل المصحف إذا كان هذا عن طريق الغلاف وكذلك إذا كان المس بحائل .

٢- يجوز مس كتب الفقه والتفسير والرسائل، وإن كان فيها آيات من القرآن، لأنها لا يقع عليها اسم المصحف، ولا يثبت لها حرمته، وقد كتب النبي ﷺ إلى قيصر كتاباً فيه آية .

٣- أن مس الصبيان للمصحف على غير طاهرة اختلف فيه العلماء

قال القرطبي : " وفي مس الصبيان إياه على وجهين: **أحدهما**: المنع اعتباراً بالبالغ، **والثاني**: الجواز؛ لأنه لو منع لم يحفظ؛ لأن تعلمه حال الصغر؛ ولأن الصبي وإن كانت له طهارة إلا أنها ليست بكاملة؛ لأن النية لا تصح منه، فإذا جاز أن يحمله على غير طهارة كاملة جاز أن يحمله محدثاً " [2]

---

(١) التبيان في أقسام القرآن (ص: ١٤٣)

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٢٧/١٧)

وقال الإمام مالك: " أرجو أن يكون مس الصبيان للمصـــاحف للتعليم على غير وضوء جائزاً " (١)

۞۞۞۞۞۞

(١) مواهب الجليل (١/ ٣٠٥)

لا يجهر بعضكم على بعض في القراءة

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ: اعْتَكَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، فَسَمِعَهُمْ يَجْهَرُونَ بِالْقِرَاءَةِ، فَكَشَفَ السِّتْرَ، وَقَالَ:" أَلَا إِنَّ كُلَّكُمْ مُنَاجٍ رَبَّهُ، فَلَا يُؤْذِيَنَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَلَا يَرْفَعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْقِـرَاءَةِ "، أَوْ قَالَ:" فِي الصَّلَاةِ " (١)

شرح الحديث

أرشد النبي ﷺ في هذا الحديث إلى أدب من الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها قارئ القرآن، وهو أن لا يجهر بقراءته إذا ترتب على هذا أذى وتشويش على من حوله سواء كان القارئ في صلاة أو خارج الصلاة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " ليس لأحد أن يجهر بـالقراءة لا في الصلاة ولا في غير الصلاة إذا كان في المسجد وهو يؤذيهم بجهره " (٢)

---

(١) أخرجه عبد الرزاق ح (٤٢١٦)، ومن طريقه أحمد ح (١١٩١٦)، وأبـو داود ح (١٣٢٦) ، قال عبد الرزاق : حدثنا معمر عن إسماعيل بن أمية ، عن أبي سلمة بن عبـد الرحمن ، عن أبي سعيد..... وهذا إسناد صحيح ، ويشهد له ما جاء في حديث البياضي : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو مجاور في المسجد يوماً ، فوعظ الناس وحذرهم ورغبهم ، ثم قال : " ليس مصلي يصلي إلا وهو يناجي ربه ، فلا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن" قال الحافظ ابن عبد البر " التمهيد (٢٣ / ٣١٩) " : " حديث البياضي وحديث أبي سعيد ثابتان صحيحان "

(٢) مجموع الفتاوى (٢٣/ ٦١)

وقال الحافظ ابن عبد البر: " وإذا لم يجز للتالي المصلي رفع صوته، لئلا يغلط ويخلط على مصل إلى جنبه ، فالحديث في المسجد مما يخلط على المصلي أولى بذلك وألزم وأمنع وأحرم والله أعلم" (١)

وإذا كان الجهر بالقراءة لا يترتب عليها أذى وتشويش ، فهي جائزة لما في الجهر بالقراءة من تعدي النفع وتجديد النشاط ، وإيقاظ القلب .

عن عائشة – رضي الله عنها – أن النبي ﷺ سمع رجلا يقرأ في سورة بالليل فقال: " رَحِمَهُ اللَّهُ لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً أَسْقَطْتُهَا فِي سُورَةِ كَذَا وَكَذَا " (٢)

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إِنِّي لَأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الْأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ، حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ..... " (٣)

❁❁❁❁❁❁

---

(١) التمهيد (٢٣ / ٣١٩)

(٢) أخرجه البخاري ح (٥٠٣٧) ، ومسلم ح (٧٨٨)

(٣) أخرجه البخاري ح (٤٢٣٢) ، ومسلم ح (٢٤٩٩)

نهي الجنب عن قراءة القرآن

عَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُقْرِئُنَا الْقُرْآنَ مَا لَمْ يَكُنْ جُنُبًا[1]

(١) أخرجه أحمد ح (٦٢٧) ، وأبو داود ح (٢٣٢) ، والنسائي (١/١٤٤) ، وابن ماجة ح (٥٩٤) من طريق شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن سلمة ، عن علي......

وأخرجه الترمذي ح (١٤٦) ، من طريق الأعمش ، وابن أبي ليلى ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن سلمة ، عن علي .....

وقال : حديث حسن صحيح ....

وأُعل هذا الحديث بأن عمرو بن مرة رواه عن عبد الله بن سلمة بعدما كبر وتغير ، وقد صرح بذلك شعبة قال : " روى عبد الله بن سلمة هذا الحديث بعدما كبر " ينظر: المنتقى لابن الجارود(ص ٤٢) ، تهذيب الكمال (١٥/ ٥٣)

وقال ابن عبد الهادي في التنقيح (١/٤٢٢-٤٢٣) : " وقال أبو طالب عن أحمد بن حنبل : لم يرو أحد : " لا يقرأ الجنب " غير شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة .

وقال غيره : قد رواه عن عمرو بن مرة أيضاً غير شعبة سليمان الأعمش ومسعر ومحمد بن عبد الرحمن ، وذكر الشافعي هذا الحديث ، وقال : وإن لم يكن أهل الحديث يثبتونه .

قال البيهقي : وإنما توقف الشافعي في ثبوت هذا الحديث لأن مداره على عبد الله بن سلمة الكوفي ، وقد كبر وأنكر من حديثه وعقله بعض النكرة وإنما روى هذا الحديث بعدما كبر ، قاله شعبة .

وذكر الخطابي : أن الإمام أحمد بن حنبل كان يوهن حديث علي هذا ، ويضعف أمر عبد الله بن سلمة . وقال سفيان بن عيينة : سمعت هذا الحديث من شعبة ، وقال شعبة : لم يرو عن عمرو بن مرة أحسن من هذا الحديث . =

شرح الحديث

دل الحديث على منع الجنب من قراءة القرآن ، وهذا قول الجمهور .

واختلف العلماء في قراءة الحائض للقرآن .

فذهب جمهور العلماء إلى المنع ، وذهب الإمام مالك إلى جواز القراءة القليلة للحائض لأن أيامها تطول ويخشى عليها من نسيان القرآن ..... ، وما ذهب إليه مالك أرجح لأنه لم يرد في منع الحائض من قراءة القرآن حديث صحيح .

= وقد توبع عبد الله بن سلمة في رواية معنى هذا الحديث عن علي ، فأخرج أحمد ح (٨٧٢) عن عائذ بن حبيب ، عن عامر بن السمط ، عن أبي الغريف . قال : أتي علي رضي الله عنه بوضوء فمضمض ... ثم قال : هكذا رأيت رسول الله ﷺ ثم قرأ شيئاً من القرآن ثم قال : هذا لمن ليس بجنب ، وأما الجنب فلا ولا آية .

وهذا سند حسن ، عائذ بن حبيب وثقه ابن معين وابن حبان وذكره أحمد فأحسن الثناء عليه ، وعامر بن السمط وثقه يحيى بن سعيد القطان والنسائي ، وذكره ابن حبان في الثقات . وأبو الغريف : هو عبيد الله بن خليفة الهمداني المرادي روى عنه جمع ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وكان على شرطة علي رضي الله عنه .

لكن هذا الطريق أُعل بالوقف فقد رواه الدارقطني (١/ ١١٨) من طريق يزيد بن هارون قال : حدثنا عامر بن السمط قال : حدثنا أبو الغريف عن علي موقوفاً .

قال الدارقطني : هو صحيح عن علي ....

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " قراءة الحائض القرآن لم يثبت عن النبي ﷺ فيه شيء ..... وأشار إلى تضعيف حديث ابن عمــر: " لَـا تَقْــرَأْ الْحَائِضُ وَلَا الْجُنُبُ مِنْ الْقُرْآنِ شَيْئًا " (١)

وقال: ومعلوم أن النساء كن يحضن على عهد رســول الله ﷺ و لم يكن ينههن عن قراءة القرآن . كما لم يكن ينههن عن الذكر والدعاء بل أمر الحيض أن يخرجن يوم العيد ، فيكبرن بتكبير المسلمين . وأمر الحائض أن تقضي المناسك كلها إلا الطواف بالبيت : تلـبي وهــي حــائض ، وكذلك بمزدلفة ومنى ، وغير ذلك من المشاعر . (٢)

وقال في موضع آخر: " ولهذا كان أظهر قولي العلماء أنها – أي المرأة الحائض – لا تمنع من قراءة القرآن إذا احتاجت إليه ، كما هو مــذهب

(١) أخرجه الترمذي ح (١٣١) ، وابن ماجة ح (٥٩٥) ، والبيهقــي (١/ ٨٩) مــن طريق إسماعيل بن عياش ، عن موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن الــنبي ﷺ قال : " لا تقرأ الحائض ولا الجنب شيئاً من القرآن " .

وهو من رواية إسماعيل بن عياش ، عن الحجازيين ، وهو مضعف فيهم .

قال الترمذي – الجامع الكبير (١/١٧٥) – : " حديث ابن عمر لا نعرفه إلا مــن حــديث إسماعيل بن عياش ، عن موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ قال : " لا يقرأ الجنب ولا الحائض " وسمعت محمد بن إسماعيل يقول : إن إسماعيل بن عياش يروي عن أهل الحجاز وأهل العراق أحاديث مناكير . كأنه ضعف روايته عنهم فيما يتفرد بــه . وقال إنما حديث إسماعيل بن عياش عن أهل الشام .

(٢) مجموع الفتاوى (٢١ / ٤٦٠)

مالك، وأحد القولين في مذهب الشافعي ويذكر رواية عن أحمد، فإنها محتاجة إليه ، ولا يمكنها الطهارة كما يمكن الجنب . " [(١)]



(١) مجموع الفتاوى (٢٦ / ١٧٩)

فهرس المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم** .

* " **الإتقان في علوم القرآن** " ، للإمام جلال الدين السيوطي نشر المكتبة الثقافية ببيروت – لبنان سنة ١٩٧٣ م.

* " **أحكام أهل الذمة** " ، للحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، تحقيق الدكتور / صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان .

* " **أخلاق حملة القرآن** "، لمحمد بن الحسين الآجري ، تحقيق وتعليق فواز أحمد زمرلي ، دار الكتاب ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ .

* " **إكمال المعلم بفوائد مسلم** " ، للإمام الحافظ عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ، تحقيق الدكتور / يحيى إسماعيل ، الناشر دار الوفاء ، مكتبة الرشيد ، الرياض الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ.

* " **الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف** " ، لعلاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان بن أحمد المرداوي (مع المقنع والشرح الكبير) تحقيق الدكتور / عبد الله بن عبد المحسن التركي – دار هجر للطباعة والنشر – الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ .

* " **البداية والنهاية** " ، للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، تحقيق الدكتور / عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ .

* " **البرهان في علوم القرآن** " ، للإمام بدر الدين محمد بـــن عبـــد الله الزركشي ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ، دار المعرقة ، طبعة ثانية .

* " **بداية المجتهد ونهاية المقتصد** " ، للإمام أبي الوليد محمد بن أحمد بـــن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي ، دار المعرفة ، الطبعة الخامسة ١٤٠١ هـــ .

* " **تأويل مشكل القرآن** " ، لعبد الله بن مسلم بن قتيبـــة الـــدينوري ، بعناية أحمد صقر، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤٠١ هـــ .

* " **التبيان في آداب حملة القرآن** " ، لأبي زكريا يحيى بن شرف الـــدين النووي ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، مكتبة دار البيـــان ، الطبعـــة الأولى ١٤٠٣ هـــ .

* " **التبيان في أقسام القرآن** " ، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، الناشر : دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

* " **التَّحدِيثُ بما قيل: لا يَصِحُّ فِيْهِ حَديثٌ** "، تأليف: بكر بن عبـــد الله أبو زيد ، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع، الطبعـــة الأولى ١٤١٢ هـــ .

* " **تدريب الراوي شرح تقريب النووي** " ، لجلال الدين السيوطي ، الطبعة الأولى بتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، نشر المكتبة العلمية سنة ١٣٧٩ هـ .

* " **التسهيل لعلوم التنزيل** " ، للعلامة الإمام محمد بن أحمد بن جزي الغرناطي ، تحقيق الدكتور / عبد الله الخالدي ، الناشر : دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت – لبنان

* " **تفسير الطبري جامع البيان** " ، لأبي جعفر محمد بن جرير ، تحقيق محمود شاكر ، تخريج أحمد شاكر ، دار المعارف ، مصر ، طبعة ثانية .

* " **تفسير القرآن** " ، للإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق الدكتور / مصطفى مسلم محمد ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ .،

* " **تفسير القرآن العظيم** " ، للحافظ ابن كثير ، دار الأندلس ، بيروت ، تحقيق / مجموعة من العلماء .

* " **تقريب التهذيب** " ، لشهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق ، عادل مرشد ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ .

* " **التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح** " ، للحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي ، طبعة أولى نشر دار الفكر ببيروت ١٣٨٩ هـ .

* " **تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير** " ، للإمام أحمد بن على بن حجر العسقلاني ، دار نشر الكتب الإسلامية ، لاهور ، باكستان .

* " **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد** " ، للإمام عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري ، الناشر : وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، المملكة المغربية ، طبعة ثانية ١٤٠٢ هـ .

* " **تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق** " ، للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي ، تحقيق الدكتور / عامر حسن صبري ، نشر وتوزيع المكتبة الحديثة ، الإمارات العربية المتحدة ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ .

* " **تهذيب الكمال في أسماء الرجال** " ، للحافظ أبي الحجاج يوسف المزي ، تحقيق الدكتور / بشار عواد معروف ، بيروت ١٤٠٢ هـ .

* " **تهذيب مدارج السالكين** " ، للإمام ابن القيم الجوزية ، تحقيق عبد المنعم صالح العلي العزبي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ

* " **الجامع لأحكام القرآن** " ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت

* " **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم** " ، للإمام زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم

الدمشقي الشهير بابن رجب ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، إبـــراهيم باجس ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ١٤١٢ هـــ .

* " **الجامع الكبير** " ، للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه الدكتور / بشار عواد معـــروف ، دار الغرب الإسلامي .

* " **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح** " ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، الناشر : مطبعة المدني .

* " **دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية** " ، جمع وتحقيق الدكتور / محمد السيد الجليند ، دار الأنصار ، الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـــ ، مطبعة التقدم .

* " **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** " ، لأبي نعيم أحمد بـــن عبـــد الله الأصفهاني ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، الطبعة الرابعـــة ، ســـنة : ١٤٠٥ هـــ .

* " **دلائل النبوة** " ، لأبي بكر أحمد الحسين البيهقي ، تحقيق الـــدكتور / عبد المعطي قلعجي ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعـــة الأولى سنة ١٤٠٥ هـــ .

* " **الرسالة** " ، للإمام المطلبي محمد بن إدريس الشافعي ، تحقيق وشرح / أحمد محمد شاكر .

* " **زاد المعاد في هدي خير العباد** " ، لابن قيم الجوزية ، حقق نصوصه ، وخرج أحاديثه ، وعلق عليه / شعيب الأرنـؤوط ، عبـد القـادر الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ومكتبة المنار الإسلامية الطبعـة الثالثـة ١٤٠٢ هـ .

* " **الزهد** " ، لأحمد بن حنبل ، تحقيق محمـد بسـيوني زغلـول ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ .

* " **سنن أبي داود** " ، للحافظ أبي داود سليمان الأشعث السجسـتاني الازدي ، إعداد وتعليق / عزت عبيد الدعاس .

* " **سنن الدارمي** " ، للحافظ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت .

* " **سنن الدارقطني** " ، للإمام علي بن عمر الدارقطني ، تحقيق عبـد الله هاشم يماني ، الناشر : دار المحاسن – القاهرة .

* " **السنن الكبرى** " ، للإمام أبي بكر أحمد بن حسين البيهقي ، الناشر : دار المعرفة – بيروت ، طبع بمطبعة مجلس دائرة المعارف الهند ، الطبعة الأولى سنة ١٣٤٤ هـ .

* " **سنن ابن ماجه** " ، للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القـزويني ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر : دار الفكر .

* " **سنن سعيد بن منصور** " ، للإمام سعيد بن منصور ، دراسة وتحقيق الدكتور / سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد ، الناشـــر : دار الصميعي الطبعة الأولى ١٤١٤هـــ .

* " **سنن القراء ومناهج المجودين** " ، للدكتور / أبي مجاهد عبد الفتـــاح القارئ ، الناشر : مكتبة الدار ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـــ .

* " **سير أعلام النبلاء** " لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢ هـــ .

* " **السيرة النبوية** " ، لابن هشام تحقيق جماعة من المحققين، الناشـــر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان .

* " **شرح صحيح البخاري** " ، لابن بطال أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، الناشر : مكتبة الرشد الرياض ، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠ هـــ .

* " **شرح الزرقاني على موطأ مالك** " ، للإمام محمد الزرقاني ، تحقيـــق مجموعة من العلماء ، الناشر : دار المعرفة بيروت – لبنان سنة ١٤٠١ هـــ .

* " **شرح العقيدة الطحاوية** " ، للإمام القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز ، تحقيق الدكتور/ عبد الله بن عبد المحسن التركي ، شـــعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـــ .

* " **الشرح الكبير (مع المغني)** " ، للإمام شمس الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي ، تحقيق جماعة من العلماء ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان سنة ١٤٠٣ هـ .

* " **شعب الإيمان** " ، لأحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق محمد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ .

* " **الطبقات الكبرى** " ، للإمام محمد بن سعد البصري ، الناشر : دار صادر ، بيروت – لبنان .

* " **صحيح مسلم** " ، لإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى سنة ١٣٧٤ هـ .

* " **عمدة القارئ شرح صحيح البخاري** " ، للإمام العلامة بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني ، تحقيق : محمد محمود الحلبي ، الناشر : محمد محمود الحلبي ، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٢ هـ .

* " **غريب الحديث** " ، للإمام أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي ، الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان .

* " **فتح الباري شرح صحيح البخاري** " ، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تعليق الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، ترقيم فؤاد عبد الباقي ، عناية محب الدين الخطيب ، الناشر : المكتبة السلفية .

* " **فتح الباري في شرح صحيح البخاري** " ، للإمام الحافظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشـــهير بابن رجب الحنبلي ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ، الناشر : دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٧ هـــ .

* " **فتح المغيث في شرح ألفية الحديث** " ، للحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

* " **فضائل القرآن وما أنزل بمكة وما نزل بالمدينـــة** " ، لأبي عبـــد الله محمد بن أيوب بن يحيى بن ضريس ، تحقيق ودراسة الدكتور / مســـفر بن سعيد دماس الغامدي ، الناشر : دار حافظ الطبعـــة الأولى ســـنة ١٤٠٨ هـــ .

* " **فضائل القرآن** " ، أبي عبيد القاسم بن سلام ، تحقيق وتعليق وهـــبي سليمان عاوجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١١ هـــ .

* " **لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف** " ، تأليف الإمـــام الحافظ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ، الناشر : مكتبة الرياض الحديثة .

* " **فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإرشاد** " ، جمع وترتيب : أحمد بن عبد الرزاق الدرويش .

* " **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين** " ، للحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي الطبعة الأولى بحيدر أباد ١٣٩٠ هـ .
* " **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** " ، للإمام السلفي العلامة المحقق ابن قيم الجوزي ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ١٣٩٢ هـ .
* " **المدخل إلى السنن الكبرى** " ، لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي أبو بكر ، الناشر : دار الخلفاء ، الكويت ، ١٤٠٤ هـ ، تحقيق : محمد ضياء الرحمن الأعظمي .
* " **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية** " ، بجمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي .
* " **المراسيل** " ، للإمام الحافظ أبي داود سليمان السجستاني ، حققه وعلق عليه : شعيب الارناؤوط ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ .
* " **المستدرك على الصحيحين** " ، للحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم ، الناشر : دار الفكر ، سنة ١٣٩٨ هـ .
* " **مسند أبو يعلى الموصلي** " ، للحافظ أحمد بن علي الموصلي ، تحقيق : حسين سليم أسد ، الناشر : دار المأمون للتراث ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ .
* " **مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني**" ، الناشر : مؤسسة قرطبة .

* " **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار** " ، للحافظ أبي بكر بن أبي شيبة ، الناشر : الدار السلفية ، الهند ، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٩٩ هـ
* " **المصنف** " ، للحافظ أي بكر عبد الرزاق الصنعاني ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، توزيع : المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣ هـ .
* " **المغني عن الحفظ والكتاب** " للعلامة أبي حفص عمر بن بدر الموصلي الحنفي، ملحق بكتاب " جنة المرتاب بنقد المغني عن الحفظ والكتاب "، لأبي إسحاق الحويني، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ .
* " **المغني** " ، لابن قدامة ، تحقيق الدكتور/ عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الدكتور / عبد الفتاح محمد الحلو ، الناشر : دار هجر الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ .
* " **المفردات في غريب القرآن** " ، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق / محمد سيد كيلاني ، الناشر : دار المعرفة ؛ بيروت – لبنان .
* " **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم** " ، للإمام الحافظ أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي ، تحقيق : مجموعة من المحققين ، الناشر : دار ابن كثير ، ودار الكلم الطيب ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ .

* " **المنار المنيف في الصحيح والضعيف** " ، للإمام شمس الدين أبي عبـــد الله محمد بن أبي بكر الحنبلي الدمشقي المعروف بابن قـــيم الجوزيـــة، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ، الناشر: مكتب المطبوعات الإســـلامية ، حلب سوريا، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـــ .

* " **الموطأ** " ، للإمام مالك بن أنس ، تحقيق محمد فؤاد عبـــد البـــاقي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي .

* " **النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى** " ، لمحمد بن حمد الحمود ، الناشر : مكتبة الإمام الذهبي – الكويت ، الطبعة الأولى ســـنة ١٤١٣ هـــ .

* " **نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار** " ، للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، الناشر : دار الجيل ، بيروت – لبنان .

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

مقدمة : .... ٥ — ١٠

الباب الأول : من فضائل القرآن .... ١١ — ١٥١

الفصل الأول: فضائل عامة .... ١٢ - ١٠٣

١- المعجزة الخالدة والآية الباقية .... ١٣ - ٢٧

شرح حديث أبي هريرة ﷺ أن النبيﷺ قال : ما من الأنبياء إلا أعطي من الآيات ..... الحديث ، وبيان كون القرآن معجزة خالدة ، وآية باقية على ممر الدهور ، وذكر بعض دلائل الإعجاز في القرآن الكريم

٢- الخشوع والبكاء عند سماعه وتلاوته.............. ٢٨ — ٣٨

شرح حديث ابن مسعودﷺ أن النبي ﷺ أمره أن يقرأ عليه القرآن ... وبيان ما كان عليه النبي ﷺ من الخشوع والبكاء عند سماع القرآن وتلاوته ، واستعراض الآيات القرآنية في بيان أحوال المؤمنين عند سماع القرآن وتلاوته ، وسياق الآثار الواردة عن السلف في هذا الباب ....

٣- اغتباط صاحب القرآن .... ٣٩ - ٤٣

شرح حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : لا حسد إلا في اثنتين .... ، وبيان معنى الحسد في الحديث ، وذكر الأحاديث الواردة في هذا المعنى .

٤- الجهر بقراءته والتغني به .... ٤٤ - ٥٠

شرح حديث أبي هريرة ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول : ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغني بالقرآن ..... وذكر النصوص الدالة على اســتحباب تحسين الصوت بالقرآن .

٥- الأمر بتعاهده واستذكاره .... ٥١ – ٦٣

شرح حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قــال : إنمــا مثــل صاحب القرآن كمثل الإبل المعلقة ...... وذكر الأحاديث الواردة في استذكار القرآن وتعاهده ، وبيان هدي السلف وطريقهم في تعاهد القرآن .

٦- فضل حملة القرآن.......................... ٦٤ – ٦٨

شرح حديث أبي موسى ﷺ أن النبي ﷺ قال : مثل المؤمن الذي يقرأ القــرآن ..... وبيان أقسام الناس في قراءة القرآن وتفاوت حظوظهم ......

٧- نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن .... ٦٩ – ٧٣

شرح حديث البراء وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما في قصة قــراءة أسيد بن حضير ، وقول النبي ﷺ له : تلك السكينة تترلت للقرآن .... وبيــان المراد بالسكينة وذكر الأسباب التي تكون سبباً في نزول السكينة ، وذكر مــا حصل لغير أسيد من الصحابة ....

٨- الترغيب بتعلمه وتعليمه .... ٧٤ – ٨٨

شرح حديث عقبة بن عامر ﷺ حين خرج عليهم النبي ﷺ فقال لهم : أيكــم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان ؟ .... وذكر ما كان عليه الصحابة مــن الإقبال على تعلم القرآن وتعليمه ومنهجهم في تلقي القرآن وأثر ذلك في حياهم ، وسياق جملة من الآثار عنهم المشتملة على دعوة الأمة إلى الإقبال على كتاب الله وحسن تدبره وتفهمه ...

٩- القرآن ذكر الأمة وعزها وشرفها .... ٨٩ – ٩٧

شرح حديث عامر بن واثلة أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بعسفان ..... الحديث ، وفيه قال عمر : إن نبيكم قال : إن الله يرفع بهذا القرآن أقواماً ..... وبيان معنى الرفعة ، والحديث عما حصل للأمة من رفعة ومكانة حين تمسكت بهذا القرآن ثم ما حصل لها من ضعف مكانتها ومترلتها حين أعرضت عن هذا القرآن.....

١٠- الأمر بقراءة القرآن ما ائتلفت عليه القلوب...... ٩٨ – ١٠٣

شرح حديث جندب ﷺ أن النبي ﷺ قال : اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ...... وبيان معنى الحديث ، وذكر أنواع الاختلاف المأمور بالقيام عند حصوله .

الفصل الثاني : من فضائل بعض السور والآيات ..... ١٠٤ – ١٥١

١- فضل فاتحة الكتاب .... ١٠٥ – ١١٦

شرح حديث أبي سعيد بن المعلى ﷺ ..... وفيه قول النبي ﷺ : ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن ..... وبيان ما ورد من فضائل لسورة الفاتحة ، وتفسيرها .

٢- فضل سورتي البقرة وآل عمران .... ١١٧ – ١٢٧

شرح حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ : يقول : اقرؤوا القرآن ...... اقرؤوا الزهراوين ...... شرح الحديث ، وبيان فضل البقرة وآل عمران ، وعرض إجمالي لموضوعات سورة البقرة وآل عمران

٣- فضل آية الكرسي .... ١٢٨ – ١٣٣

شرح حديث أبي بن كعب ﷺ قال : قال رسولﷺ يا أبا المنذر أتدري أي آية ..... ، وبيان فضائل آية الكرسي ، وتفسيرها ...

٤- فضل الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة .... ١٣٤ — ١٣٨

شرح حديث أبي مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : من قرأ هاتين الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه .... وبيان فضائل هاتين الآيتين ، وشرح معني : كفتاه ، وتفسيرهما .

٥- فضل سورة الكهف .... ١٣٩ — ١٤١

شرح حديث أبي الدرداء أن نبي الله ﷺ قال : من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف .... ، وذكر وجه تخصيص هذه الآيات بالفضل ......

٦- فضل سورة الإخلاص .... ١٤٢ — ١٤٦

شرح حديث أبي الدراء عن النبي ﷺ قال : " أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن .... " ، وسياق الأحاديث في فضائل قل هو الله أحد ، وبيان وجه كونها تعدل ثلث القرآن ، وتفسير هذه السورة .

٧- فضل المعوذتين .... ١٤٧ — ١٥١

شرح حديث عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : " ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط .... " ، والكلام على فضل المعوذين ، وتفسيرهما ....

الباب الثاني : أحكام عامة .... ١٥٢ — ٢١٧

الفصل الأول : قراءة القرآن في الصلاة أحكام وآداب ..١٥٣ — ٢٠٠

١- قراءة الفاتحة في الصلاة .... ١٥٤ — ١٦١

شرح حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال : لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن ... والحديث عن حكم قراءة الفاتحة في الصلاة وخلف الإمام ، وذكر مذاهب العلماء وأدلتهم ....

٢- القراءة في الصلوات المكتوبة .... ١٦٢ – ١٧٢

شرح حديث أبي هريرة قال : ما صليت وراء أحد أشبه صلاةٍ برسول الله ﷺ من فلان ، وفيه : ويقرأ في المغرب بقصار المفصل ، ويقرأ في العشاء بوسط المفصل ... والكلام على المفصل في القرآن ، وسياق الأحاديث الواردة في هدي النبي ﷺ في قراءته في الصلوات المكتوبة ، والتوفيق بين ما ظاهره التعارض

٣- القراءة في ركعتي الفجر .... ١٧٣ – ١٧٦

شرح حديث أبي هريرة وابن عباس في القراءة في ركعتي الفجر .... وبيان هدي النبي ﷺ في القراءة في هاتين الركعتين ، والكلام على القراءة في أوائل السور وأوساطها وأواخرها ، وسياق الآثار وكلام أهل العلم في ذلك .

٤- القراءة في قيام الليل . ... ١٧٧ – ١٨٠

شرح حديث حذيفة قال صليت مع النبي ﷺ ليلة فافتتح البقرة ..... وبيان صفة قراءة النبي ﷺ ، وحكم الجمع بين أكثر من سورة في الركعة الواحدة ، وحكم القراءة على غير ترتيب المصحف ، وحكم التسبيح والتعوذ والسؤال عند القراءة أوسماعها، وهل يفرق بين الفرض والنافلة ؟

٥- النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرأ بهن .... ١٨١ – ١٨٤

شرح حديث ابن مسعود : لقد سمعنا القرائن أو النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرأ بهن ..... وبيان معنى النظائر ، وسياق الروايات المفسرة لهذه النظائر .. الخ

٦- الأقرأ أحق بالإمامة .... ١٨٥ – ١٨٧

شرح حديث أبي سعيد الخدري في قوله عليه الصلاة والسلام : وأحقهم بالإمامة أقرأهم .... وسياق الأحاديث في الباب ، وبيان المراد بالأقرأ ؟ ، وذكر مذاهب العلماء في من هو أحق بالتقديم هل هو الأفقه أم الأقرأ ؟ .... وسياق الأدلة في ذلك .

٧- أمر الأئمة بالتخفيف .... ١٨٩ – ١٩٠

شرح حديث أبي هريرة : إذا أم أحدكم الناس فليخفف ، وبيان الأحاديث في الباب .... وبيان المراد بالتخفيف .

٨- النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود ... ١٩١ – ١٩٢

شرح حديث ابن عباس وعلي رضي الله عنهما : في النهي عن القراءة في الركوع والسجود ..... وبيان الحكم التشريعية من هذا النهي ....

٩- القراءة في صلاة الجمعة والعيدين . ... ١٩٣ – ١٩٥

شرح حديث جابر بن سمرة : كان للنبي ﷺ خطبتان ، يجلس بينهما ، يقرأ القرآن ، ويذكر الناس .... وسياق الأحاديث في القراءة في خطبة الجمعة ، وبيان حكم القراءة في الخطبة وذكر أقوال العلماء في هذه المسألة ... وشرح حديث أبي هريرة والنعمان بن بشير رضي الله عنهما : في القراءة في صلاة الجمعة ، وسياق الأحاديث الواردة في القراءة في صبحها ويومها ، وكذلك القراءة في صلاة العيدين .

١٠- القراءة في صبح الجمعة .... **١٩٩ – ٢٠٠**

شرح حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقرأ في الفجر يوم الجمعة) الم تنزيل) ، و (هل أتى على الإنسان حين من الدهر ....)

الفصل الثاني : أحكام عامة .... ٢٠١ – ٢١٧

١- أخذ الأجرة على تعليم القرآن .... ٢٠٢ - ٢٠٥

شرح حديث ابن عباس : إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله ، وبيان سبب الحديث ، والكلام على حكم أخذ الأجرة على تعليم القرآن ، والفرق بين ذلك وبين الاستئجار على القراءة ....

٢- النهي أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو .... ٢٠٦ — ٢٠٨

شرح حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ : نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو ..... وبيان الحكم التشريعية من هذا النهي ......

٣- لا يمس القرآن إلا طاهر .... ٢٠٩ - ٢١١

شرح حديث عمرو بن حزم : لا يمس القرآن إلا طاهر .... والكلام على إسناده ، وذكر تلقي العلماء له بالقبول ، وذكر اختلاف العلماء في مس المصحف وهل يشترط له الطهارة .... ؟

٤- لا يجهر بعضكم على بعض في القراءة. .... ٢١٢ — ٢١٣

شرح حديث أبي سعيد الخدري : أن النبي ﷺ اعتكف في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة ..... والكلام على حكم رفع الصوت بالقرآن ....

٥- نهي الجنب عن قراءة القرآن .... ٢١٤ — ٢١٧

شرح حديث علي قال : كان النبي ﷺ يقرئنا القرآن ما لم يكن جنباً .... وبيان حكم قراءة الجنب للقرآن ، وكذلك قراءة الحائض ....

فهرس المراجع والمصادر : .... ٢١٨ — ٢٢٩

فهرس الموضوعات : ٢٣٠- ٢٣٦